

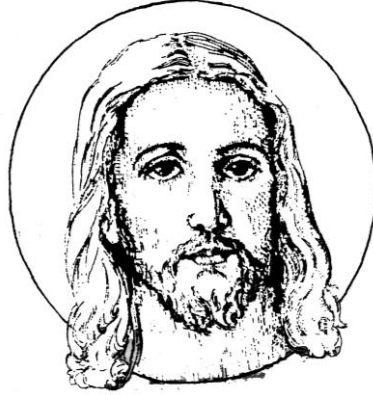
كنيسة العذراء مريم والشهيد أبانوب
بالمقطم

وادي الدموع

راهب من جبل أنطونيوس

" عابرين فى وادى البكاء يُصيرونه ينبوعاً " (مز ٨٤ : ٦)

اسم الكتاب : وادى الدموع
المؤلف : راهب من جبل أنطونيوس
اسم المطبعة : تاتش برس - ٠١٠١٧٨٩٣٧٤
الطبعة : الأولى ٢٠١١ م
تجهيزات فنية : صبحي صادق - موريس ونيس
رقم الإيداع : ٢٠١١
لطلبات الجملة : ٠١٢٤٢٧٢٤٣٥



إهداء

❖ إلى قلب الرب يسوع الذى سكب على الألم
بلسمه الشافى ، فطيب النفوس المجروحة ،
وحوّل الألم إلى عذوبة ، والمرارة إلى حلوة .

❖ إلى قلب كل متألم لكى يعرف أن التقدم
الروحي لا يتم إلا عبر وادى الدموع وطريق



قداسة البابا شنودة الثالث
بابا الإسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية

(٤)

١ - دموع وعتاب

كانت الفتاة الهندية الجميلة تستعد للزفاف ، حين إكتشفت ظهور بعض البثور المؤلمة فى أطرافها ، وعلمت بعد قليل أنها أصيبت بمرض الجذام .

ولم يكن أمامها إلا أن تغير حياتها لتتوافق مع المفاجأة القاسية . فذهبت فى صحبة أخيها ، وهى كسيرة القلب إلى مستعمرة الجذام . ذات الأسوار الشاحبة خارج المدينة . وعندما خطت بقدمها داخل البوابة الكئيبة .. انقبض صدرها . فهى تدخل بوجهها الجميل وشبابها النضر إلى مجتمع المجذومين . وقد رأت فى اللحظة الأولى ما كانت عليه السيدات المجذومات من بؤس وحزن عميق .. فضلاً عن قذارة المكان ووسخ الثياب وبذاعة الأخلاق ، بل وشراسة الطباع أيضاً .

كانت الفتاة ترتدى ملابس عروس معطرة ، وأدركت فى الحال ما ستكون عليه فى هذا المكان الموحش الكئيب المهمل . وما ستنتهى إليه بين أنياب المرض الشرس والقروح العفنة .

وأستندت الفتاة رأسها على كتف أخيها وبكت بمرارة وأسى . كان سواد المصير أكبر من أن تحتمله فتاة صغيرة ورقيفة . وحين انسحب أخوها عائداً وأغلق الباب .. تبيست قدمها وارتعشت أطرافها ، ولم تستطع أن تخطو نحو العنبر الكئيب . فجاءت سيدة خشنة وجذبتها إلى داخل البيت لتقضى أولى لياليها السوداء . وعلى فراش العفن وسط عشرات المجذومات بكت الفتاة كثيراً

وكانت دموع .. وكان عتاب .. وكانت آلام طاحنة .. ثم إحباط . ووسط بحور الدموع تحدث الله إلى قلبها الجريح ، وإلى أحاسيسها المرهفة الطيبة ، وأعلمها الله .. أنه أتى بها إلى ذلك المكان الكريه من أجل غرض نبيل ولرسالة هامة . قال الله لها أنه رأى ما آلت إليه حياة النساء البائسات من شقاء ، فأرسلها إليهن لتكون رسالة حب وإنقاذ ورحمة ، وليجعل منها الدواء والسلام للقلوب الممزقة .

ومرت الأيام والليالي وهي تدعو الله وتستوضح ما يريد في حياتها . وتعامل الله معها فاكتملت روايتها ، وبدأت رحلتها في إنعاش روح المجذومات ، وبعث الحياة في كيانهن المحطم .
وبدأت حملتها الأولى في تنظيف المكان ، وبعد شهور قليلة تحول المكان إلى حديقة مزهرة ، وأصبحت غرف المجذومات نظيفة ..
وتغيرت ملامح المجذومات وملابسهن ، وارتسمت على الوجوه ابتسامة الرضا والقبول ، وتحول اليأس إلى حياة وحب وخدمة وتعاطف وعطاء .
وبعد سنوات كثيرة قالت الفتاة : [لقد رسم الله لى حياتى بمشروط الجراح فأمانتى وأقامنى إنسانة جديدة .
لقد ألقى الله بى كما تلقى حبة الحنطة فى الأرض ، ليموت غلافها الخارجى ، ثم ينبت من كيانها المحطم عود أخضر مليئاً بالثمار والحياة والربيع .
لقد أخضعت إرادتى لله بصعوبة لكننى الآن أستمتع بما أراد الله لحياتى المثمرة] .

صديقى القارئ

إن لكل واحد منا نهج الحياة الذى سيسلكه ، ولكل واحد منا دور مرتبط بأدوار الآخرين أيضاً .
والإنسان لا يظهر على مسرح الحياة مستقلاً منفرداً بنفسه ، بل سيظهر فى علاقته بأدوار الآخرين أيضاً ..
وعلى هذا الأساس وضع الله المؤلف الأعظم رواية الحياة لكل واحد منا ، وموقعه فى التاريخ أو العصور أو الأجيال أو الأحداث أو الظروف .
وعلى كل إنسان منا أن يتقن دوره فى الحياة ، ليتمم الرسالة التى حددها الله له فى الحياة .

عزيزى

دع الرب يعمل فيك باقتدار .
دع المسيح يعمل فى كيانك ، ويشع بنوره من خلالك لينير قلوب البشر .

دع الله يستخدمك ويعمل فيك وبك أجل الأعمال ، ويأتى على يديك بأعظم النتائج .

دع الله يُعدك لإتمام رسالته فى الأرض ، ويرسم حياتك بمشروط الجراح ، ليجعل منك إنساناً جديداً ذا نفع كثير .
وضع فى اعتبارك دائماً :

إن الله يعدك
لرسالة سبق
فأعدّها لك

٢ - فوق المشاكل

وقع حصان أحد المزارعين فى بئر مياه عميقة ، ولكنها جافة ، وتآلم الحصان كثيراً من أثر السقوط ، واستمر هكذا لعدة ساعات ، كان المزارع خلالها يبحث الموقف ويفكر .. كيف يتصرف . ولم يستغرق الوقت طويلاً كى يُقنع نفسه بأن الحصان قد أصبح عجوزاً ، وأن تكلفة استخراجه من البئر تقترب من تكلفة شراء حصان آخر . هذا إلى جانب أن البئر جافة منذ زمن طويل ، وتحتاج إلى ردمها بأى شكل .

وهكذا قام المزارع بمساعدة جيران له بردم البئر ، وإلقاء الأتربة فوق الحصان لدقنه .

فى بادئ الأمر ، أدرك الحصان حقيقة ما يجرى ، فأخذ يصهل بصوت عال يملؤه الألم ، وطلب النجدة ، وبعد قليل من الوقت اندهش الجميع لانقطاع صوت الحصان فجأة .

فتنظر المزارع إلى داخل البئر ، فوجد الحصان مشغولاً بهز ظهره ، كلما سقطت عليه الأتربة يرميها بدوره على الأرض تحت أقدامه فيرتفع بمقدار خطوة فوقها .

واستمر الحال على ذلك حتى اقترب الحصان من سطح الأرض ، فقفز قفزة بسيطة وصل بها إلى سطح الأرض بسلام .

وبالمثل قد تلقى الحياة بأوجاعها وآلامها وأثقالها فوق ظهورنا ، فعلينا بدورنا أن نلقى بأحمال مشاكلنا من فوق ظهورنا وندوس عليها بأقدامنا ، فننجو من أعماق آبار المشاكل ، ونرتفع فوقها موجهين أنظارنا إلى السماء من حيث يأتى لنا العون من عند الرب .

قامت إحدى المعلمات بعمل امتحان مفاجئ لطلبة المرحلة الخامسة التى تقوم بتدريبيها ، ولاحظت أن واحداً من الطلبة يجد صعوبة فى الإجابة ، فرغبة منها فى مساعدته ، فإنها سألته ، إن كان هناك صعوبة فى الأسئلة ، فأجابها الطفل : [لا يا معلمتى ، ليست المشكلة فى الأسئلة ، ولكن فى الإجابة] .

إننا نواجه نفس الصعوبة التى واجهت هذا الطفل ، فنحن نعيش

تحت ضغط شديد للعثور على حلول وإجابات لعدد من المشكلات التي تواجهنا اليوم ، فبراعتنا العلمية قد تمكننا من التحليق في الفضاء ، ولكننا نقف صاغرين أمام مشاكل تجلب لنا متاعب مثل البيوت المنقسمة المُدمَّرة وإدمان المخدرات والكحوليات وغير ذلك كثير .

عندما نتوه وسط مشاكلنا ، فهناك شخصاً إلهياً يهديننا من وسط ارتباكنا ، ويقودنا إلى الطريق الصحيح .. إنه الرب يسوع .

لولاك يا ربى ..
لكنت فى شقاء أضرارب الهواء ..
وما كان لى سلام فى رحلة الأيام

..
وما كنت أهناً ونفسى تهدأ ..
وما كان لى رجاء وسط البلاء ..
وما كنت أفرح وخوفى أطرح ..

٣ - ساحمل صليبي

مات زوجها وهى فى ريعان شبابها تاركاً لها ثلاثة أطفال ..
تساءلت فى نفسها : [لماذا أحمل هذا الصليب الثقيل ؟
ها أنا أكد وأشقى كل يوم من أجل تربية أولادى .. صليبي أثقل من
أن يُحتمل] .

ركعت الأرملة الشابة فى إحدى الليالى تطلب من الله أن يأخذ نفسها
منها فإن صليبيها لا يحتمل .
وإذ نامت رأت فى حلم أنها فى غرفة مملوءة صلباناً ، بعضها كبير
والآخر صغير ، بعضها أبيض والآخر أسود .
وقد وقف بجوارها السيد المسيح يتطلع إليها فى حنو وقال لها :

[لماذا تنذمرين ؟
أعطى صليبيك الذى هو ثقيل عليكِ جداً ، واختارى لنفسك صليباً
من هذه الصلبان التى أمامك] .
فقدمت له الأرملة صليبيها ، ومدت يدها لتحمل صليباً صغيراً يبدو
أنه خفيف . لكن ما أن رفعته حتى وجدته ثقيلاً للغاية . سألت عن هذا
الصليب ، فأجابها الرب :

- هذا صليب شابة أصيبت بالشلل فى سن مبكرة .
= ولماذا يبدو الصليب صغيراً وخفيفاً ؟
- لأن صاحبه تتقبله بشكر وتحتمله ، فتجده صغيراً للغاية وخفيفاً .
أمسكت الأرملة بصليب آخر يبدو أيضاً صغيراً وخفيفاً . لكنها ما أن
أمسكت به حتى شعرت كأنه قطعة حديد ملتهبه ناراً . فصرخت من شدة
الحرق وسقط الصليب من يدها . وسألت عن هذا الصليب . فأجابها
الرب : [إنه صليب سيدة زوجها رجل شرير جداً وعنيف معها ومع
أولادها ، لكنها تحتمله بفرح وتصلى لأجل خلاص نفسه لذلك يبدو
الصليب خفيف وصغير] .
وأمسكت بصليب ثالث لأم فقدت أولادها الستة بقلب راض وشاكر
للرب .

أخيراً .. اقتنعت الأرملة أن الله " لا يدعكم تجربون فوق ما
تستطيعون " (١ كو ١٠ : ١٣) .

فانطرحت أمام مخلصها يسوع وهى تقول : [سأحمل صليبي الذى سمحت لى به .
لكن لتحمله أنت معى أيها المصلوب . أنت تحول آلامى إلى عذوبة .. أنت تحول مرارتى إلى حلاوة] .

أخى القارئ

إن كنت تحب بركة الصليب فيجب أن تحبه فى حياتك أى تحب حمل الصليب . وإن كنت تحب الجلجثة فى فدائها فلا تتبعد عنها فى آلامها . اجعل الصليب فى داخلك وليس خارجك .
كن مستعداً دائماً لتحمل الآلام ومشاركة مسيحك فى آلامه .
إن يسوع قد حمل الصليب لأنه كان مستعداً أن يموت عليه ، فكل من يحمل الصليب ولا يكون مستعداً أن يموت عليه فهو كذاب ومنافق .
لم يكذب على الناس وإنما على الصليب .

ما أكثر المسيحيون اليوم الذين يتبعون مسيحاً ويريدونه بلا صليب . كثيرون يتبعونه إلى كسر الخبز ، إلى المائدة . أما حاملوا صليبه فقليلون . كثيرون يتبعونه طالما لا تتناهم المحن والشدائد وبيحثون عنه طالما تعمهم النعم والخيرات . أما إذا لحقهم ضرر أو ألم فإنهم يهربون للتلو ، كثيرون يزحمون المعلم فى وقت الراحة ، أما إذا لحقهم ضيق بسبب تبعيته فإنهم يتركونه وحده ويبعدون عنه ، لأنهم يريدون مسيحاً بلا صليب .

كثيرون يتبعون المسيح إلى الولائم والأفراح . أما إلى الصليب وبستان الدموع . فقليلون .
إن مسيحنا هو يسوع المصلوب ، وعندما قام من بين الأموات قال عنه الملاك " يسوع المصلوب " (مت ٢٨ : ٥) .
لقد عانق المسيح الصليب وعلى كل تلاميذه أن يحملوا الصليب إن هم أرادوا أن يكونوا له تلاميذاً .

إن الذى يتقبل الألم فى شكر وسرور لا يحمل الصليب ، بل الصليب هو الذى يحمله إلى حيث انتهاء الألم ، لأنه لا يقدر أن يحمل صليب المسيح إلا المسيح نفسه ، فالمسيح الساكن فىك سيحمله عنك .
الصليب يحول مرارة الحياة إلى حلاوة النعمة ، مثلما طرح موسى عصن الشجرة فى مياه مارة المرة فصارت عذبة (خر ١٥ : ٢٥) .

إن ربوات من أبائنا القديسين قد اختبروا الصليب قبلنا ثقلاً وألماً بكل ما تعنيه تلك الكلمات من معنى وعمق ، وسطروا اختباراتهم في هذا بالعرق والدموع والدم .. ومع ذلك ظلت اختباراتهم تنطق نغمات رائعة عذبة ، يشهد أن يسوع المصلوب هو الذى يحمل الصليب عنا ويحملنا معه أيضاً .

اعلم أيها الحبيب – أنك إذا حملت الصليب طوعاً ، حملك الصليب وسار بك إلى الغاية المشتهاة .

ربى يسوع
لتحمل أنت صليبي معى ..
أنت تحول الآلمى إلى
عذوبة .. أنت تحول
مرارتى إلى حلاوة .

٤ - جوهرة العزاء

حين كتب (يوحنا بنيان) مؤلف كتاب (سياحة المسيحي)
اختباراته عن سجنه الذي ظل فيه (١٢ عاماً) كتب هذه الكلمات :
[فى كل حياتي لم أتغلغل فى أعماق كلمة الله مثل الآن ، مما جعلنى
أقول مراراً ، أيجل لى أن أطلب المزيد من الألام للحصول على مزيد
من التعزية] .

نعم ..

حيث يوجد الألم يوجد بجواره ينبوع لا ينضب من التعزية .
الله لا يمكن أن يتركنا فى الأمان وحدنا ، دون تقديم المعونة .
" لأنه كما تكثر آلام المسيح فينا ، كذلك تكثر تعزيتنا أيضاً " (٢ كو

٥ : ١)

من أتون التجارب نتعلم الصبر ونتزین بجوهرة رائعة هى جوهرة
العزاء .

أخى الحبيب

إن السعادة الحقيقية هى فى المسيح . فإن أردنا أن نكون سعداء حقاً ،
فليكن لنا الإيمان درعاً ، ولتكن لنا الفضيلة سلاحاً .
إن ما يحزن أهل العالم ويخيفهم ، سيكون بالنسبة لأبناء المسيح
سبب راحة ومسرة .

سيجدون فى الصبر حلاوة ، وفى الضعف فرحاً ، وفى التجارب
سلاماً ، وفى الاضطهاد بركة ، وفى الموت حياة أبدية .

إن التجارب التى نمر بها فى الحياة هى ضريبة الوجود فى هذا
العالم ، ولا يمكن أن يكون لنا وجود فى العالم دون أن ندفع ثمن
احتكاكاته ، علماً بأن العالم نفسه بأرضه وسمائه سينزعز .

كل شئ فى هذا العالم قابل للتحطيم والزوال حتى هذا الجسد الذى
نلبسه ونزيبه .

أما علاقتنا مع الرب يسوع فهى غير قابلة للتحطيم ، لأنها محفوظة
فى سلام يفوق العقل والعالم ، ولا علاقة لهذه بتلك إلا أن الأولى تمهد
للثانية وتخدم مجدها ، لأن بقدر ما يفنى الخارج يتجدد الداخل .

يقول الشاعر عن الرب يسوع :

وقت ضيقى قد طلبته
ففى أتونى قد وجدته
صرختى قد روعته
صوته الحلو سمعته
فى رضا منه لمسته
هو ربى وإلهى
وهو من يمحو أثمى
لم أكد أدعوه حتى
يحمل الضيقات عنى
قبل أن أدعوه كنت
فأتانى وعرفته
فى حنانه قد ألفتة
ودموعى ألمته
شخصه الحانى رأيتة
والشفا منه أخذته
وهو عونى وصديقى
وهو فى الضيق رفيقى
يأتينى فى عمق ضيقى
ومشقات الطريق
فى عذاب كالحرىق

إن الرب يسوع يدللنا أحياناً ليعطينا الحنان ويشعرنا بالأمان ..
فيقول الرب : " على الأيدي تُحملون ، وعلى الركبتين تدلون " (إش
٦٦ : ١٢) .

إنه يحملنا على الأيدي ، ويدلنا على الركبتين ، لكى يذكرنا بأننا لنا
مكانة عنده ومعزة فى قلبه .

لهذا نرى فى صورة يسوع الراعى . خراف كثيرة حوله ، بينما أحد
هذه الخراف جالساً على ركبتيه .

وفى هذا إشارة إلى نفس الإنسان التى تحتاج فى لحظة من اللحظات
فى مراحل نموها الروحى إلى التدليل على ركبتى يسوع لتتلامس
عليهما مع حبه ودفئه .

فالطفل على ركبتى أبيه تحوطه ذراعا الأب . وإذا وجد فى عينيه
دموع يمسحهما الأب .. وإذا احتاج أن يضمه إلى صدره يضمه بكلتا
ذراعيه ، لكى يهدئ من روعه وأنيبه .

هذا ما يفعله الرب يسوع معنا فى تجاربنا حينما نتقل علينا أحمالها
لكى يخفف عنا الأمانة .

فنحن كأولاد الله يدللنا كثيراً جداً . ولكن إن دللنا يسوع كل أيام
حياتنا ، فهل ننتظر أن يكون لنا أكليل جهاد فى السماء ؟

الألم هو صاك
العبور وتاج
الظفر على
هذا العالم

٥ - عواصف الحياة

بينما كان أحد الخدام عائداً من إيطاليا ، هبت عاصفة عاتية على السفينة أدخلت الذعر إلى قلبه وقلب زوجته ، وكان معهما فى الباخرة خليط من الناس ، ففتلح إلى وجوههم جميعاً ، فرأى البعض يبكون ، والبعض يضحكون ، والبعض يسرحون ويمرحون على سطح الباخرة ، ولكن الذى أدهشه جماعة من السياح الأجانب كانوا قادمين إلى القاهرة ، فسمعهم وقد جلسوا على مؤخرة السفينة وهم يرنمون هذه الترنيمة التى لن ينساها ، وترجمتها تقول :

[انس همومك ومخاوفك ، وانهض من ظلماتك وكفكف دموعك .
فالعالم سيشرق حالاً ، والجو سيصبح صفواً صفواً ، فانس همومك
يا أخى لأن الله معك ، والله محبة] .

للإ إلى أن تعبر العاصفة :

كانت الرياح شديدة ، وكانت الأغصان فى أحد الحقول تتمايل بشدة ، فسأل الابن أباه - وكانا يسيران معاً فى وسط الحقل : [أليس عجيباً يا أبى أن الرياح شديدة بهذا المقدار ومع ذلك لا تقوى على كسر سيقان القمح وهى رفيعة بهذا المقدار ؟!]
فأجاب الأب قائلاً : [سيبان يا ولدى من أجلهما تنتصر السيقان على

الرياح .:

أولاً - ليونة السيقان فهى كما ترى تنحنى بمرونة وليونة أمام الرياح إلى أن تعبر العاصفة ثم تعود فتنتصب انتصابتها من جديد .

ثانياً - كثرة السيقان وتساندها بعضها إلى جوار البعض ، وهكذا إذا تعاونوا إزاء رياح الحياة العاصفة ، فلا بد أن يسند بعضها بعضاً] .

إن الشجرة التى تنمو فى المستنقعات بالقرب من الماء ، ليست فى حاجة لأن تمتد جذورها عميقاً فى التربة .

إن جذورها تمتد على السطح فقط ، وعندما تعصف الرياح ، فإن الشجرة تسقط سريعاً .

أما الشجرة التى تنمو فى الصحراء ، فإنها على العكس تمد جذورها عميقاً فى التربة حتى تجد رطوبة ، وهذه الشجرة عندما تعصف بها الرياح لا تسقط .

على هذا النمط فإن التجارب التي تعصف بحياتنا ، تربي فينا جذور روحية عميقة مرساتها الله ، لتمكننا أن نثبت تجاه عواصف الحياة .
إن الآلام تولد تعميقاً للإيمان وتقويه للأخلاقيات ، حتى نحمل ثماراً أغنى وأوفر للرب .

إن الأشجار التي تقاوم العواصف الشديدة ، ينمو فيها جذوراً عميقة ويتكون فيها خشباً متيناً .. العواصف شديدة ولكن أعظم ما فيها .. أنها تشدد الحياة وتبنيها .

كل إنسان يتألم فى الحياة . إن التقى الألم مع الإيمان ، فإنهما يؤديان إلى نمو روحى .

إن الألم له تأثيراً إنسانياً مخصباً ومهذباً للأخلاق .
وفى الواقع ، أنهم لفقرء أولئك الذين لم يتألموا من قبل ، وليست لهم علامات المحن عليهم .
إن الألم يُصير الإنسان معلماً ، وأول هباته هو الثبات فى الإيمان بالله .

إن السعادة والسلام والنصرة والحكمة التى ينالها الإنسان فى عشرته للرب تفوق كل وصف ، وقادرة أن تغلب كل ظروف الحياة ، وتسود فوق كل العواصف .

إن أقسى الآلام هى التى تولد أروع الأنعام وأجمل الألحان ، فالألم يكشف للإنسان حقيقة نفسه ، والحب يرفع الإنسان فوق نفسه ، ومتى امتزج الحب والألم فستتولد أعماق جديدة للحياة ، فوسط أعاصير الظروف الصاخبة المدمرة ، وزوابع المحن والآلام ، هناك ملاحم رائعة كُتبت بالدموع والدماء ، لتحكى أعظم قصص الحب الإنسانى ، وتسجل بسطور ذهبية قصة الإنسان .

إننا حين نرى الطريقة التى تعمل فى حياة المسجونين وراء قضبان الظروف والضيقات ، وحين نسمع كيف يتوهج الإيمان وسط ظلال الشك ، حينئذ نبدأ نتذوق شيئاً من ثمار الصبر التى قد تنبت من تربة معاناة الألم .

" أى مجد هو إن كنتم تلتطمون مخطئين فتصبرون . بل إن كنتم تتألمون عاملين الخير فتصبرون ، فهذا فضل عند الله " (١ بط ٢ : ٢٠)

فكلما كثرَ الزمن وهبَّت العواصف ، فالنظرة الروحية تتخطى

دائماً ما يتمخض به العالم نحو أولاد الله ، وترى في الأفق البعيد غير المنظور ما يعوض هذه الأيام حينما يعود العالم يهدأ أو تنتهي كل عواصفه .

لرب إننى أتساءل :

تتغنى الطيور بعد كل عاصفة ، فلماذا لا يشعر الناس بالابتهاج بعد كل عاصفة تمر بهم من عواصف الحياة ؟
اعلموا – أيها القراء الأحباء – أنكم وسط مجاهل مياه بلا حدود ، ولكن سيد البحار كلها هو معكم ، وهو الذى يضبط الأمواج ويلجم العواصف .

لقد كان فى استطاعة الرب يسوع أن يأمر أول موجة عاتية أن تهدأ ، وأول زمجرة للريح أن تسكن ، ولكن جزء من تديبره أنه انتظر وتمهل حتى وصلت العاصفة إلى قمة عنفها ، هكذا فعل مع تلاميذه فى البحيرة

تذكروا هذا .. أن تلاميذه ظنوا أنه فى نومه قد نسيهم ..
اذكروا كم كانوا مخطئين !
اجتثروا لكم من ذلك قوة وثقة واتكالاً مبهجاً ، وتوقعاً للنجاة .

الحياة ليست كلها شتاء
هناك ربيع سوف يأتى

٦ - سر الشقاء

فى أحد أحياء القاهرة أصيبت فتاة تدعى (زاهية) وهى فى ريعان شبابها ونضارة الصبا ، بمرض عضال فى العمود الفقرى ، وعاشت سجينة المرض لسنين عديدة ، راقدة على فراشها بلا حراك .
ذهب إليها أحد الآباء ، وهو يفكر فى كلمة يعزيها بها مما هى فيه .
وما أن دخل عليها البيت ، حتى رآها وهى طريحة الفراش وعلى وجهها إشراقاً وهدوءاً وسعادة ، وكانت ترنم ترنيمتها المحبوبة :

لا أدرى من أين أتانى ذا السلام التمام
فاض سروراً مائئاً قلبى إلى التمام
قلبى دوماً يفيض سلام قلبى دوماً يفيض سلام
ولو هاجت جيوش الظلام فهو لى .. يسوع لى

إنها حقاً فتاة عظيمة من أكبر عظماء الحياة لأنها احتملت وابتسمت .
إن أجمل ابتسامة فى الوجود هى التى تشق طريقها وسط الدموع ولا تبالى بالجراح . عالمة أن الرب يسكب بلسمه الشافى ليطيب النفس المجروحة .

أخى القارئ

قد تتسرب سعادتك من نافذة نسيت أنك تركتها مفتوحة .
إذا أردت أن تظمنن إلى أن كل النوافذ مغلقة كى لا تتسرب سعادتك .
وإذا أردت أن تستمتع بالسلام ، فعليك أن لا تنظر للألامك بمنظار مكبر .

بل انس نفسك .. وانس الآلامك .. واعمل لإسعاد شخص آخر ،
وروض عقلك على الأفكار المنتجة التى تبحث فيما هو نافع ومفيد .
وتحاشى أحلام اليقظة والخيالات البراقة ، التى يستحيل تحقيقها
لأنها تسلب الإنسان طاقة نفسية كبيرة تضيع هباءً أو بدون فائدة .
إذن ما هى السعادة وأين نجدها ؟

يقول علماء النفس : إن السعادة لا تتم باستكمال وسائل الراحة
الجسدية والمادية ، بل ينفجر ينبوعها من الروح مصدر المشاعر النفسية

وإذا كانت الروح فى سلام ، فإن الإنسان يشعر بالسعادة ولو كان فى أهلك ساعات الألم .
إن الإيمان المسيحى ضرورة لمن يطلبون أروع وأسعد ما تكون عليه الحياة على الأرض وفى السماء .
والديانة المسيحية هى الديانة الوحيدة دون غيرها ، القادرة على تغيير وتطهير القلوب وتحريك المشاعر وسد كل احتياجات الإنسان .
إن سر الشقاء والتعاسة الدائمة للإنسان هو أنه لا يستطيع أن يتبين الله ويسمعه من خلال تجاربه والامه .

إن المسيحية لم
تدع جرحاً فى
جسم البشرية إلا
وجاءته بعلاج .

٧ - موكب الحياة

عندما حُكِمَ على (دانتي) بالنفى وطُردَ من (فلورنسا) وُحِرِمَ عليه أن يراها حتى الموت . سار هذا الشاعر الشريد يضرب فى المنفى على غير هدى .

وإذ امتلأت نفسه من الأحزان والمتاعب والعذابات ، زهد فى الأرض وحن إلى السماء ، وكتب كتابه العظيم الخالد (الكوميديا الإلهية) .

(وما أنا وأنت والمؤمنون جميعاً إلا (دانتي) الشريد ، تنتزعه نعمة الله من التعلق بالأرض عن طريق الآلام والأوجاع والضيقات ، حتى نحن إلى السماء والراحة الأبدية .

وما أنا وأنت والمؤمنون جميعاً إلا ذلك الركب الذى يسير فى موكب الحياة وقد قيل عنه : " تجربوا فى هزء وجلد ثم فى قيود أيضاً وحبس ، رُجِمُوا نَشِرُوا جُرِبُوا ماتوا قتلاً بالسيف ، طافوا فى جلود غنم وجلود معزى معتازين مكرويين مذلين ، وهم لم يكن العالم مستحقاً لهم . تانهين فى برارى وجبال ومغاير وشقوق الأرض " (عب ١١ : ٣٦ - ٣٨) .

(دعونا إذأ نشكر الله .. لا على الشمس المشرقة فحسب ، بل على الغيوم أيضاً .

ولا على النسيم الخفيف بل على الريح العاصف أيضاً .
ولا على الماء الرقاق ، بل على الأمواج المزيدة أيضاً .
ولننتهف من الأعماق مع الرسول بولس قائلين : " إن كل الأشياء تعمل معا للخير للذين يحبون الله " (رو ٨ : ٢٨) .

إن الآلام والضيقات التى تعترض طريق حياتنا هنا على الأرض هى معبرنا إلى السماء والمجد الأبدى الخالد لأنه : " بضيقات كثيرة ينبغى أن ندخل ملكوت الله " (أع ١٤ : ٢٢) .
إن كل الذين يضطهدون من أجل اسم المسيح سينالون الأكاليل المعدة لهم .

يا أحبائى .. مهما أصابتكم البلايا وتراكت عليكم الأحزان فى وادى الدموع .. فائتبتوا لكى تتمجدوا فى السماء بتلك الأمجاد التى

يعجز اللسان عن وصفها . تلك الأمجاد التي لما عاينها القديس بولس الرسول لم يستطيع أن يتكلم عنها ، ولم يجد في قواميس اللغة ألفاظاً تساعده على وصفها فاكتفى بقوله : " ما لم تر عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه " (١ كو ٢ : ٩) .

يا مَنْ التحقتم بالضيق وتسربلتم بالتجارب ابتهجوا الآن : " لأن الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم وتعب المحبة التي أظهر نموها نحو اسمه " (عب ٦ : ١٠) .

إنكم ستنالون جزاء تعبكم وجهادكم وعملكم . وها الكتاب يبشركم : " قولوا للصديق خير ، لأنهم يأكلون ثمر أفعالهم " (إش ٣ : ١٠) .
إن عيشة الصديقين في هذا العالم مملوءة من الأحزان والمشقات والأين والأتعاب ، لكن إيمانهم بأن سيدهم سيجازيهم على أتعابهم ويخفف أحزانهم ، ولهم رجاء في نعيم السماء .
إن عزاء أولاد الله المتضايقين في هذا العالم هو أنهم سيحظون بالأفراح العظيمة في حياة الدهر الآتي .

لقد رأى يوحنا في رؤياه أن المفديين الذين أتوا من الضيقة العظيمة من جميع شعوب الأرض واقفين أمام العرش وأمام الخروف القائم وكأنه مذبح متسربلين بثياب بيض وفي أيديهم سعف النخيل .
ابتهج أيها المؤمن الوثائق بخلاص نفسك ابتهج بذلك المجد المُعد لك

وكيف لا تبتهج وكل ما في الحياة من ظلمة وآلام سيُدفن في القبر وستسعد وتطوب نفسك حينما تخرج من سجن الجسد لتتال إكليل الحياة .

إن هياج البحر للظلم السوفية
والأمواج ترسى على المينا

٨ - قنطرة العبور

شاهد أحدهم نملة تحمل عوداً من القش ، ووصلت فى مسيرها إلى فجوة عسر عليها اجتيازها بحملها الذى كانت تحمله ، ووقفت تدور به عليها تجد مخرجاً من هذه الورطة ، وأخيراً اهتدت إلى الحل المناسب .
وذلك بأن وضعت عود القش على الفجوة ، واتخذت منه قنطرة للعبور . ولما وصلت إلى الجانب الآخر رفعت عود القش وسارت فى طريقها بسلام .

فاتخذ الرجل لنفسه درساً من هذه النملة ، وهو أن الآمنا وأعمالنا كثيراً ما تكون قناطر عبور للتقدم فى طريقنا ، والانتقال إلى الجانب الآخر من الحياة خلف آفاق الزمن ، فى رحاب الأبدية السعيدة .
يقول القديس (يوحنا ذهبى الفم) عن لعازر المسكين الذى اتخذ من الآمه قنطرة للعبور إلى السماء واستوفى بلاياه على الأرض دون تذمر :
[أى ضرر أصاب لعازر بسبب مرضه وقروحه وفقره وعدم وجود من يقيه ؟

ألم تكن هذه الأمور تضفر له إكليلاً من زهور النصر؟!]
إن الإنسان الذى يتحمل الألم بشكر إنما يقدم جسده ذبيحة على مذبح الألم .
فلنضع فى اعتبارنا دائماً أن الألم هو معبرنا إلى السماء . ونقبله بشكر لما يجلبه علينا من بركات .

قالت سيدة مسيحية مات ابنها وأصيبت بضعف بصرها وبثقل سمعها : [إنى أشكر الله إذ أخذ ابنى ليكون قلبى فى السماء ..
وسمح بضعف بصرى لكى لا أرى شخصاً سواه ..
وثقل سمعى .. حتى إذا ما قال إنسان عنى كلمة رديئة لا أسمعها ..
أشكر إلهى كل حين] .

إن الوحي الإلهى يكشف لنا الفرحة الحقيقية الذى ينتظرنا فى السماء ، فلا حزن ، ولا بكاء ، ولا تنهد ، بل نور بهيج وفرح مُقيم ، يعوضنا عن حياة امتلأت بالمنغصات والآلام من كل نوع ، والضيق والاضطهادات من فجر حياتنا حتى وداع القبر .

سئِلَ ضابط عانى كثيراً في الأسر : كيف احتمل ما احتمله من آلام مريرة في أسره ، فقال : [لأنى لم أربِّ لحالى أبداً] .
إننا كثيراً ما نزيد من الأمانا شدة وقوة بالإكثار من الشكاية عنها .
ولكن لو سكتنا عنها ، وعشنا حياة الشكر ، لآبد وأن نخفف منها عن كاهلنا .
إن الضغوط التى تقابلنا فى الحياة هى فرص لتطويرنا ولا يجب أن نضيعها ، فالتنوعات هى الأشياء التى تتسلق عليها .

مَنْ عَرَفَ أَنَّ
لِكُلِّ تَجْرِبَةٍ
انْقِضَاءَ
حَسَنِ عِزَائِهِ عِنْدَ
الْبَلَاءِ

٩ - القانون الذهبى

♦♦ لقد عرفت الملكة (فيكتوريا) ملكة انجلترا (١٨١٩ - ١٩٠١) الكثير من التجارب ، فى الثانية والأربعين من عمرها ماتت أمها وزوجها ، وبعد ذلك بستة عشر سنة ، ماتت ابنتها الأميرة (أليس) ، وفى عام ١٨٨٤ م مات ابنها .

وذات يوم سمعت أن امرأة فقدت ابنها ، وكانت غير متقبلة للعزاء ، فقامت الملكة بزيارتها لتعبر لها عن مشاركتها بعواطفها ، وبعد انصرافها ، سأل الجيران المرأة عما قالته لها الملكة ، فأجابت وهى تجفف دموعها : [لا شئ ، بل وضعت يدى فى يدها وبكىنا معاً] .

♦♦ أصيب شاب فى طفولته بشلل الأطفال مع ضмор شديد فى جسده ، ولذلك فهو يستخدم يديه فى السير ، وعمل كل شئ . ذات يوم سمع هذا الشاب من أحد خدام الكنيسة عن شابة فقدت رجلها تحت القطار فى طفولتها ، فأصبحت نصف جسد ، وتستخدم يديها فى المشى وعمل كل شئ .

ولكنها عندما وصلت إلى سن الشباب انطوت على نفسها ، ودخلها يأس قاتل ، ورفضت مقابلة أى إنسان . واكتسى وجهها أغلب الأوقات بالدموع . وفشل كثيرون من الأباء الكهنة والخدام فى إخراجها من هذه الحرب النفسية القاتلة .

بعد أن سمع الشاب المريض قصتها ، طلب أن يقابلها . وذهب الشاب المريض مع بعض الخدام لزيارتها .

وعندما وصلوا .. إذ بالفتاة تنظر من داخل شقتها بالدور الأرضى ، فترى شاباً يلقي بجسده من على مقعد السيارة إلى الشارع ويزحف حتى وصل إليها وحياها .. وهنا خرجت من الفتاة ابتسامة من القلب إلى الوجه لأول مرة منذ طفولتها .

وقام الخدام مع الشاب والفتاة بعمل اجتماع صلاة .. وتغيرت نفسية الفتاة تماماً ، واشتعلت على ماكينة تريكو . وبدأت حياة جديدة مملوءة بالفرح ، بفضل زيارة الشاب المريض لها .

حقاً ..
إن الإنسان الذى واجه الألم وخاض معركته ، وجابه الظلام ،
ووصل إلى النور الذى أعطاه الله إياه فى مواجهة الألم .
مثل هذا الإنسان الذى تألم مجرباً يقدر أن يعين المجربين (عب ٢ :
١٨) .
إن آلامنا فى هذه الحياة تجعلنا نشعر بآلام الآخرين ونئن لأوجاعهم .

قارئى العزيز
عليك أيها الحبيب .. أن تنمى فى نفسك دائماً الشعور بأن تكون
موضع الشخص الآخر لتشعر بمعاناته وتحس بآلامه .
إن بعض المدارس فى (إنجلترا) تربي طلابها على كيفية اكتساب
المقدرة على إحلال النفس محل الغير ، وتخصص هذه المدارس يوماً من
أيام الأسبوع للأعمى ، ويوماً للأعرج ، ويوماً للأصم .. وهكذا .
والهدف من هذه الأيام هو مزيد من الاقتراب إلى الآخرين ، وذلك
بأن يحل التلميذ محل الشخص صاحب اليوم - فى يوم (الأعمى) مثلاً ،
يقوم أحد التلاميذ باتخاذ دور (الأعمى) .
إذ تُعصّب عيناه من مطلع النهار إلى نهاية اليوم ، حتى يقوم
بتكوين فكرة صحيحة عما يستشعره الأعمى وما يحسه ، فى حين يقوم
سائر زملائه بمعاونته ، ومد يد المساعدة له .. وهكذا الحال فيما يختص
بالأعرج والأصم .. إلى آخره .
وهذا يساير القانون الذهبى فى التعامل مع الآخرين .
" كل ما تريدون أن يفعل الناس بكم ، أفعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم "
(مت ٧ : ١٢) .

وهذا يجعلنا نشعر بآلام الآخرين ونئن لدموعهم ونمد يد المساعدة
لحل مشاكلهم .
إن العالم ملئ بالقلوب التى تحتاج إلى التعزية ، فالأيتام يصرخون
فى الليل ، وراحيل تبنى على أولادها ، والهنا يشفق عليهم ، ويريد أن
يخفف آلام البشرية بواسطتك .
إن الأمل تكسبك خبرة شخصية فى تضييد جراح الآخرين ، ستقدم
إليهم البلمس الشافى الذى سيق أن ضمد به الرب جراح قلبك ، وتزيل
عنهم مرارة الحزن ، فتنبتد عبوسة الوجه إلى بشاشة ، ويحل الرجاء
محل اليأس .

اصنع معهم كما صنع معك السامرى الصالح الأعظم حين ضم
جراحاتك ..

" اذهب أنت أيضاً واصنع هكذا " (لو ١٠ : ٣٧) .
هكذا ينتقل فى كل أرجاء العالم صدق تلك المحبة .. المحبة العجيبة
التي أحبنا بها المسيح وتتسع حلقاتها على مر الأيام ، ولا تتوقف حتى
تجتاز كل المسكونة .

واعلم أنك إذا رسمت بسمة على وجه إنسان يتألم ، ستجد السعادة
فى قلبك .

إن العالم مملوء بالمتاعب ، ولكن بعض الناس لا يشعرون إلا
بمتاعبهم وحدهم .

فليكن لديك الإحساس بالآخرين ومشاركتهم مشاعرهم فى الأفراح
والأحزان عملاً بقول القديس بولس الرسول : " فرحاً مع الفرحين ،
وبكاءً مع الباكين " (رو ١٢ : ١٥) .

قال أحد الأدياء : [إن السماء تبكى بدموع الغمام .. وقلبها يخفق
بلمعان البرق .. وتصرخ بهدير الرعد ..

وإن الأرض تنن بحفيف الرياح .. وتضج بأمواج البحر ..

وما بكاء السماء ولا أنين الأرض إلا رحمة بالإنسان] .

فهو يرى أن السماء والأرض تكياناً إشفاقاً على آلام البشر .

فيا ليتك تبكى - أيها الحبيب - كلما وقع نظرك على شخص متألم أو
إنسان مجروح .. لأن الدموع التى تنحدر من خديك فى مثل هذا الموقف
هى حبات لؤلؤ ، وهى أحرف من نور تسجل لك فى صحيفة الحياة
البيضاء : (إنك إنسان) .

يا ليتك تنن بقلبك لكل من قاسى آلاماً ، وتمسح بيدك دموع الحزانى
، وتسير بقدميك على درب الحياة ساكباً دمك فى تربة الإنسانية لتثبت
ورود المحبة .

يا ليتك تكون مستعداً ليس لحمل صليبك وتحمل آلامك فقط ، بل
لحمل صليب غيرك وتحمل آلامه بفرح ومحبة دون تدمير حتى لو
سخروك مثل (سمعان القيروانى) الذى سخره فى حمل صليب
المسيح .

إن المفهوم الحقيقى لحمل الصليب ليس هو أن تحمل آلامك وأتاعبك
فى شكر ، بل أن تحمل آلام الآخرين فى شكر وفرح .

فالرب يسوع عندما حمل الصليب لم يحمل أعباه وآلامه هو ، بل حمل أتعاب وآلام البشرية .

من المعروف أن الجنود فى وسط المعركة لا يهتمون بالآلام التى تتأبهم من الجروح التى يُصابون بها ، كذلك فى وسط الألعاب الرياضية ، فإن اللاعب لا ينتبه إلى آلامه الموجهة ، ويستمر فى اللعب إلى نهاية المباراة دون أن يشعر بالإصابة ، وفى الغالب يحدث بعد حوادث العربات أن الشخص لا يكثرث بما يُلْم به ، ويكون جُلَّ اهتمامه بأولاده وزوجته ، إلى أن يكتشف فيما بعد أنه هو نفسه مُصاب .

هكذا كان اهتمام يسوع بالآخرين ، بأعدائه حتى يغفر لهم ، وباللص التائب حتى يضمن له الملكوت ، وبأمه حتى يضمن لها رعاية طيبة ، وأخيراً أحس يسوع بالآلام العطش المرعب ، فصرخ بخلق يابس جاف وشفاه متورمة قائلاً : " أنا عطشان " (يو ١٩ : ٢٨) .

عزيزى

هل تشعر بآلام الآخرين ؟

هل تتس الأملك وتهتم بالأم غيرك ؟

إن الأفراح إذا وُزعت
زادت والأحزان إذا
هُزعت هانت

١٠ - رائحة حياة

عذراء من الشهداء أرادوا إذلالها ، فجعلوها تغسل الأرض ، وكلما كانت تنظفها ، كانوا يلقون بأقذار أخرى ، بحيث تظل رائحة على ركبتيها للتنظيف طوال اليوم ، وكان لهذا الأمر متخصصون لتعذيبها . وظلت هذه العذراء هكذا طوال أيام كثيرة ، ولا يعطونها فى أثناء ذلك سوى قشرة يصل يومياً لتأكلها ، وابتدأ جسدها يضعف إلى أن انكفأت على وجهها وبديها وركبتيها على الأرض .

فضربوها ظانين أنها تتمارض ، ولكنهم وجدوها قد فارقت الحياة . ولكن ربنا يسوع المسيح الذى لم يسمح لنا بمعرفة اسمها ، أو شئ من جهة أبيها وأمها ، وهما من أشرف الأسكندرية .. أراد استخدام المنظر الأخير من حياتها كتعليم لنا ، فإذ بمكان الأورام فى يديها وركبتيها ينفجر ويخرج سوائل ذات رائحة عطرة جميلة جداً ، بصورة غير طبيعية .. فاحتفظوا بهذه الأطياب .

لقد أراد الرب أن يستخدم كل جزء عاش هذه المذلة كالطيب المسكوب أو القنينة المكسورة ، لتتحول إلى رائحة حياة حتى وهى فى نظرهم جسد ميت .

إن الخبرة البشرية تقول أن الإنسان عندما يدخل إلى الألام تزداد قيمة ما يقدمه من خبرة وتراث للإنسانية كلها .. فى تخطى عقبات الألم التى تواجهه .

وكلما يزداد الإنسان فى خبرات الألم ، كلما ازدادت قيمته ونضجه ، ويصبح له وزن وشأن .

وكما أنه يلزم أن تنكسر قارورة الطيب الثمينة ، لتنتقل منها الرائحة العيقة ، هكذا يلزم أن تنكسر الحياة لتنتقل منها الرائحة العيقة ، وينتشر أريج عطرها فى كل الأرجاء .

إن الله يأخذ الأشياء المكسورة فى حياتنا ، ويحولها إلى أشياء أفضل تتناسب مع قصده الإلهى .

كما أنه يمكن لله أن يعمل عجائب بالقلب المنكسر والحياة المنسحقة ، إن أعطينا القطع المكسورة إليه .

إن العين المستعلية التى تطلب الكرامة ، تشهد على نفسها أنها

عاطلة عن السير فى الطريق الضيق ، وهى لا تطلب كرامة المسيح ، ولا تنتهى بالحق تمجيده . وهى مشغولة بكرامة نفسها .

هذه النفس خالية من النعمة والهدى لها نصيب مع القديسين ، والمسيح يُشبعها من كرامات الناس حسب شهوتها جزاء لعبادتها التى تؤديها لهذا الغرض ، فهو لا يزال يستجيب لها إلى أن تستوفى أجرها ، أما شركتها فى مجد المسيح ، فلن تدوقه ، لأن شركة مجد المسيح هى أجر لمن تآلم وأهين وأهبرت كرامته ، وسلبت حقوقه ، وشبع مهانة ومذلة عن رضى وفرح من أجل السرور الموضوع أمامه .

هوذا الزمان قد بلغ النهاية ، والرب سيمسح كل دمة من عيونكم ، ويقودكم بنفسه إلى المراعى السماوية لتشبعوا من دسم تعزياته .

إن آلة الألم هي وسيلة الراحة . وغرفة التجارب هي عتبة السماء

١١ - أي سيف هذا ؟

اشتغل طبيبان أجنبيان معاً في مديرية بحر الغزال ، وكان أحدهما ملحداً ، والآخر مؤمناً فقد إحدى عينييه بحادث ، فكان الملحد يهزأ به قائلاً : [أين إلهكم الذين تقولون أنه يعتنى بكم ؟ وما هو غرضه في أن يسمح بأن تفقد إحدى عينيك ؟]

فأجابه المؤمن : [لا أفهم الآن ، ولكنى سأعرف غرضه من ذلك يوماً ما ، وسيكون هذا من أسباب شكرى له] .
فتمادى الملحد في هزئه قائلاً : [هذا هو كلامكم الذى تهربون به دائماً من هذه المشاكل] .

وذات يوم قاما برحلة معاً وتبعهما في منطقة الغابات ، فخرج عليهما جماعة من أكلة لحوم البشر ، وأمسكوهما ، وظهر أنهم كانوا يراقبونهما من مدة طويلة .

وكانت النار مجهزة للشواء البشرى !
وبعد نظرة عاجلة رفضوا أكل المؤمن لأن به عاهة ، وأخذوا الملحد وجروه إلى النار .
وعندئذ همس المؤمن في أذن الملحد قائلاً : [الآن ها أنا أفهم ..

لماذا أفقدنى الله إحدى عيني] .
وفي الحال جروا زميله وقطعوه إرباً ، ووضعوه على النار فصار

طعاماً لهم ، وفي ذلك اليوم رجع المؤمن إلى بيته سالماً ، مقدماً الشكر لله

يقول القديس (يوحنا ذهبي الفم) : [إن شكر أيوب على بلاياه ، أفضل من كل عطايه للفقراء] .
لقد اقتنت العذراء الطاهرة مريم فضائل كثيرة رغم صغر سنها ،
ومن بين هذه الفضائل صبرها على الآلام واحتمالها للتجارب بشكر .
فقد تنبأ لها سمعان الشيخ قائلاً : " وأنتِ أيضاً يجوز في نفسك سيف " (لو ٢ : ٣٥) .

وبالفعل تم ذلك . تعرضت العذراء لآلام كثيرة منذ ولادتها حتى
انتقالها . ولم يمنع الرب عنها الألم بسبب بركاته الكثيرة .
وضع طبيعي أن تقابل العذراء الآلام في حياتها لأنها أعظم قديسة
فوق هذه اليايسة " فكثيرة هي بلايا الصديق ، ومن جميعها ينجيه الرب " (مز ٣٤ : ١٩) .
لقد كانت مثلاً وقدوة لكل المجريين في الأرض .

❖ وُضِعَتْ في الهيكل وهي عمرها (٣ سنوات) وفاءً للذنر الإلهي ،
فكانت كحمامة طاهرة في بيت الله .

❖ توفي أبوها وهي في السادسة من عمرها ، وتوفت أمها وهي في
الثامنة من عمرها .. لكنها نالت تعزيات السماء " أبى وأمى قد تركانى
والرب يضمنى " (مز ٢٧ : ١٠) .

❖ بعد انتقالها من الهيكل إلى بيت يوسف النجار الشيخ الوقور
البالغ من العمر (٨٧ عاماً) قامت بخدمته وحولت بيته إلى كنيسة
صغيرة ملائها بالتساييح والصلوات .

❖ ثم ذهبت لأليصابات التي هي سن الشيخوخة وخدمتها وهي
حامل في شهرها السادس ، وظلت في خدمتها (٣ شهور) حتى ولدت .

❖ بعد أن ظهرت علامات الحمل عليها بالطفل يسوع " فيوسف
رجلها إذ كان باراً ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سراً " (مت ١ : ١٩)
(.. كيف كانت تصرفاته تجاهها ، وكيف تعامل معها ؟ كيف كانت
نظراته لها وشحوب وجهه ؟

إنها لحظات رهيبه مرت بأمننا العذراء مريم وعاشتها لحظة بلحظة ..

" وأنتِ أيضاً يجوز في نفسك سيف " (لو ٢ : ٣٥) .

لم تدافع عن عفتها وطهارتها حتى دافعت عنها السماء ، فأعلن
الملاك ليوسف أن " الذى حِيلَ به فيها هو من الروح القدس " (مت ١

❖ وعندما أمر أوغسطس قيصر بأن يُكتب كل واحد فى مسقط رأسه ، سافرت من الناصرة إلى بيت لحم رابكة على حمار فى وقت البرد القارس فى الشتاء رغم أنها على وشك الولادة ، وجاءتها الآم الوضع أثناء سفرها . فلم تجد مكاناً تلد فيه (المولود الإلهى) غير مغارة الرعاة ، فولدته فوق التبن فى مزود للبقر . ولكن كانت هناك دائماً تعزيات السماء . فشاركها الملائكة الفرحة وهى تنشد قائلة : **" المجد لله فى الأعلى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة "** (لو ٢ :

١٤) ..

وأنتى إليها ملوك المجوس ليسجدوا أمام المزود وأمام المولود الإلهى

❖ ولما تحقق هيرودس من المجوس بولادة المسيح مخلص العالم ، خاف على ملكه ، فقد ظن أن يسوع ملك أرضى سياتخذ ملكه . فأمر بالبحث عن يسوع وأمه ليقتله ..
وهربت مريم وطفلها مع يوسف النجار إلى مصر عبر مئات الكيلومترات على حمار .

كم حجم المتاعب والآم السفر ومخاطر الطريق ؟

كم يكون شعور أم يحاولون قتل وحيدها ؟

❖ حينما وصلت أرض مصر قوبلت بالرفض والطرده أينما حلّت ، حيث كانت الأصنام تتساقط عند مرور الطفل الإلهى عليها ..

" هوذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم إلى مصر فترتجف أوثان مصر من وجهه ، ويذوب قلب مصر داخلها " (إش ١٩ : ١) ،
فيسرع المصريون بطرد العائلة المقدسة بسبب ذلك تشاؤماً منهم .. لكنها كانت تنال تعزيات السماء حينما كانت ترى معجزات ابنها العظيمة .

❖ وفى حياة الرب يسوع رأت أمه العذراء أن ابنها مضطهداً ومرفوضاً من خاصته التى جاء من أجلها . وتأمروا عليه .

❖ ثم جاء وقت التجربة الكبرى .. السيف الذى جاز بقوة فى نفس العذراء مريم .. حينما سلم يسوع نفسه للفداء بارادته وحده .. كانت مريم تشاهد عن قرب كل ما حدث له .

كانت ترى البشرية كلها قد تخلت عنه .

كانت ترى الجلادات وهى تترك جروحاً غائرة فى جسده .

كانت ترى الضربات واللكمات والبلق على وجهه .

كانت ترى المطارق تنزل على المسامير لتخترق لحمه ، فكانت هذه المسامير تخترق قلب الأم الحنون قبل لحم الحبيب المرفوض .

كانت ترى أشواك خطايانا وهى تنغرس فى جبينه ، ثم وهم يضربوه بقصبه فتغرس أكثر . سمعت تعبيرات الناس له . رأت الذين يستهزئون به .

رأت بعينها أيادى الحقد والكراهية وهى تقدم الخل والمر لابنها العطشان .

الشكر فى الضيق له نعمة عذبة ويخفف من حدة الألم

١٢ - الهروب إلى الله

بينما كان أحد خدام الله فى غرفة مطالعته منهمكاً فى قراءة كتاب روى مفيد ، دخلت ابنته الصغيرة البالغة من العمر ثلاث سنوات ، ولشدة انكبابه على مطالعة هذا الكتاب لم يشعر بها ، إلا بعد أن سمع صوت تمزيق ورق .

فالتفت نحو الصوت فراها قد أملت كتاباً ثميناً ومزقت أوراقه . فغضب الخادم جداً . وضرب ابنته ، فبكت بدموع غزيرة ، ولكن بدلاً من أن تهرب إلى خارج ارتمت فى حضنه تبكى .

فتأثر الخادم جداً ، وحملها بين يديه ، ووضعها على صدره ، وطبع على جبينها قبلة أبوية حتى هدأ بكاؤها .

وتعلم هذا الرجل من ابنته درساً لم ينساه ، وهو أنه إذا أصابته تجربة بسماع من الله ، فبدلاً من أن يهرب من الله .. يهرب إليه ، ويرتمى فى أحضانه ، حتى يتعزى قلبه حينما يتم الرب وعده القائل : " كإنسان تعزية أمه هكذا أعزىكم أنا " (إش ٦٦ : ١٣) .

كانت الضيقة دافعة له إلى الصلاة ..
من داخل جوف الحوت نرى يونان وقد بدأ يستيقظ روحياً !!
وهو راقد يتقلب على مرتبة من الأمعاء .. نرى النبي كأنه قد بدأ
لتوه يتعلم كيف يصلى ويصرخ للرب إلهه .
حينما كان طليقاً في الهواء الطلق النظيف على سطح السفينة ،
رفض أن يصلى أو يصرخ للرب إلهه ، أما الآن في وسط التجربة فنراه
يصلى وترتفع صلاته وتدخل إلى مقدس الله !!!
صلاته صارت حلقة ربطت بين جوف الهاوية (جوف الحوت)
وهيكل قدس الله !!

نعم .. قد نُبتلع في جوف الحوت حينما نهرب من الله . قد نُطرح
في العمق في قلب البحار . قد تجتاز فوقنا تيارات وألجج . قد تكتنفنا مياه
إلى النفس .
لكن أيسكت الله أو يصم أذنيه عن سماع مختاريه الصارخين إليه
نهاراً وليلاً ؟!

أما النبي الهارب فيمسك بالقيثارة في نهاية الإصباح ويرتفع صوته

ما دمت في سفينتي ربي أنا مرتاح
أنت عالم كتر فانتهر الرياح

١٣ – مشاكل الحياة

بدأ الاستاذ درسه بإمساكه كوباً به ماء ، ورفعته إلى أعلى لكي يراه الجميع ، وسأل الطلبة : [كم هو وزن هذا الكوب فى اعتقادكم ؟]
فأجاب التلاميذ : [٥٠ جم ، ١٠٠ جم ، ١٢٥ جم]
قال الاستاذ : [إننى حقاً لا أعرف إن لم أوزنه .. لكن سؤالى هو ماذا سوف يحدث إن ظللت رافعاً إياه لمدة دقائق قليلة ؟]
أجاب التلاميذ : [لا شئ]
قال الاستاذ : [حسناً .. ماذا سوف يحدث إن رفعته لأعلى هكذا لمدة ساعة ؟]
أجاب أحد التلاميذ : [سوف يبدأ ذراعك أن يؤلمك] .
قال الاستاذ : [أنت على صواب .. الآن ماذا سوف يحدث لو حملته لمدة يوم ؟]
أجاب آخر : [قد يفقد ذراعك الحس ، وربما تحس بإجهاد شديد فى العضلات ، وربما يصاب ذراعك بشلل ، ويجب أن تذهب للمستشفى بالتأكيد] .
فضحك الجميع .
قال الاستاذ : [حسناً جداً .. ولكن أثناء كل هذا .. هل تغير وزن الكوب ؟]
وكانت الإجابة : [لا] .
فسأل الاستاذ : [فما الذى سبب ألم الذراع وإجهاد العضلات والشلل ؟]
احتار التلاميذ ، وسأل الاستاذ مرة أخرى : [ما الذى يجب أن أفعله لكي أتخلص من هذا الألم ؟]
قال أحدهم : [ضع الكوب من يديك]
فقال الاستاذ : [بالضبط ذلك .. إن مشاكل الحياة فى رأسك على هذا المثال .
ضع المشاكل فى فكري لمدة دقائق سوف تبدو على ما يرام .
فكر فيها لمدة أطول سوف تبدأ تسبب لك ألماً .
فكر فيها لمدة أطول جداً ، سوف تبدأ المشاكل تشلك ، ولن تكون

قادراً على فعل أى شئ .
من المهم أن تفكر فى التحديات أو المشاكل التى تواجه حياتك ،
ولكن الأكثر أهمية هو أن تضع هذه المشاكل فى نهاية كل يوم وتخرجها
من تفكيرك ولا تحملها فى داخلك قبل أن تذهب للنوم .
بهذه الطريقة ، لن تكون مجهداً ، وسوف تستيقظ كل صباح منتعشاً
وقوياً ، وتستطيع أن تتعامل مع أى موضوع أو تحدى يأتى فى حياتك
.

لا تفكر فى تعب
المشكلة وألمها

،
بل فكر فى

١٤ - تاج المجد

يحدثنا التاريخ عن البطلين (٣٦) (رولى ولانمر) أن أحدهما وجه
الخطاب إلى الآخر قائلاً : [يا أختى .. فلئن احترقت أجسادنا اليوم ، إلا
أننا باحتراقنا سنشعل شمعة تضئ جنات إنجلترا] .
وكذلك كل الذين تعذبوا فى سبيل المسيح له المجد استطابوا الآلام
ووجدوا فى سبيل التألم والموت لأجل اسمه غبطة دونها كل غبطة ،
ونعيم لا يعادله نعيم ، لأن غطاء الإعدام الذى وضعه معذبوهم على
رؤوسهم قد حوله الله إلى تاج مجد وظفر ، توج به هامتهم .
إن الانطلاق صوب الله يستلزم المعاناة .
إن رحلة الحياة الأبدية ، رحلة مبدعة وسعيدة ، ولكن نخطئ إذ

فأى دين من أديان العالم ،وأية قوة تستطيع أن تهيب الإنسان هذا
الاحتمال العجيب ، وهذا السلام الفياض ، إلا نعمة الله المنسكبة فى
قلوب أولاده .

عزيزى

إننا لا نستطيع أن نفهم الحقائق الإلهية إلا إذا اختبرناها اختباراً
عملياً ، فجواهر المواعيد الثمينة لا تتلأأ بضياؤها البراق إلا إذا
وضعناها موضع الامتحان الشخصى .

وذهب الحقائق المقدسة لا تظهر قيمته إلا إذا امتحن كما بنار .

إن الوحي الإلهى ملئ بأنباء التجارب ، فلا بد لك كمسيحى من أن
تتوقع التجارب ، فهى تحيط بحياتك كما تحيط الأشواك بالورود . ولكن
شكراً لله لأنه جعل فى كلمته المعونة ، فثق أن هذه المعونة لم تعطى لك
عبثاً

ن

ربى يسوع

لست أصلى طالباً

حملاً أخف بل

لف

١٥ - مطارق الألم

قديم للمحاكمة ثلاثة شبان وأربع شبابات من المؤمنين ، لأنهم رنموا ترنيمة (دعونا نكرس شبابتنا للمسيح) ، وهم فى القطار من مدينة (رينى) إلى (شيزينو) ، وما أن صدر الحكم عليهم حتى سقطوا على ركبهم قائلين : [نشكرك أيها الرب لأنك سمحت لنا أن نتألم من أجل هذا الإيمان] .

وعند ذلك رنم الجمهور فى قاعة المحكمة ذات الترنيمة التى جرت على الشباب السبعة الحكم بالعذاب والسجن : (دعونا نكرس شبابتنا للمسيح) .

وصل المسيحيون فى شرق أوروبا الذين عاشوا فى ظل اضطهاد هائل إلى الاستنتاج التالى : [نحن المسيحيين مثل المسامير ، كلما قرعنا مطارق الألم بشدة ، كلما ازدادنا عمقاً فى الرب] .

يدعم القس الأوغندى (كيفا سميانجى) بالوثائق نجاة أسرته من الموت على آخر لحظة .. ولكنه يقول بعد دراسته فى كلية لاهوت أمريكية : [فى أوغندا كنت أنا وأبنائنا نقرأ الكتاب المقدس طلباً للرجاء والحياة . كنا نقرأ لسماع مواعيد الله ووصاياه فنطيعها . لم يكن لدينا الوقت للجدال أو التناقضات الدينية أو الشكوك .

أما الآن فى طمأنينة الحياة الجديدة . ومع تلاشى حتمية الموت عن ذهنى ، أجد نفسى أقرأ الكتاب المقدس لأحل النصوص وأفكر المعانى . بدأت أستمتع بالمناقشات اللاهوتية (الهوية) المجردة مع زملائى ، ومع أن هذه المناقشات كانت منعشة ذهنياً ، لم يمض وقت طويل حتى صارت شركتنا تنحصر فى الأفكار بدلاً من عمل الله فى حياتنا .

وطراً أكبر تغيير على حياة الصلاة عندي .. كنت أصلى فى أوغندا مدفوعاً بإحساس شديد من الإلحاح . وكنت أرفض النهوض من على ركبتي حتى أتأكد من أننى دخلت فى محضر المسيح .. والآن بعد عام كامل فى فيلادلفيا ، ذهب عنى الإلحاح .

وحينما كنت أصلى علناً كنت أهتم بأن صلاتى سليمة لاهوتياً أكثر من وجودى فى محضر الله . حتى فى السر لم تعد صلواتى صرخات الطفل المستغيث بأبيه . صارت عبارة عن مهدبات روحية [

وبعد ذلك أعانت صلوات (كيفا) لمقابلة الله وجهاً لوجه مرة أخرى ، ثم ملأ قلبه فهم جديد نقى للكتاب المقدس .
إن الدروس التي نتعلمها في ظل الاضطهاد هي التي تصنع الكنيسة والفرد المؤمن وتبقيهما قويين في الرب .
لقد ظلت طاقات الرسل والتلاميذ متجمعة ومنحصرة في اورشليم ، ولم يفجرها سوى الاضطهاد ، ويرسم لنا القديس (لوقا) أحداث تلك الفترة أن " الذين تشتموا دائماً باسمي " (لوقا ٢٤ : ١٤)

المسيحية هي ديانة الصليب تظهر أصالتها وسط الضيقات

(٣٩)

١٦ - حَمَل الصليب

حكم أحد الحكام الظالمين على أقباط مصر ، بلبس صليب من رصاص ثقيل الوزن ، وأشرف بنفسه على تنفيذ ذلك ، فذهب إلى المحال والمتاجر ، وهو متنكر .

ودخل ذات مرة إلى محل للنسيج ، فوجد نساءً يرتدى هذا الصليب حتى في وقت عمله ، فسأله : [حتى أثناء العمل تلبس الصليب ؟]

- ❖ احتمال الألام : " لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته " (في ٣ : ١٠) .
- ❖ الاجتهاد حتى آخر نسمة : " قال قد أكمل ونكس رأسه وأسلم الروح " (يو ١٩ : ٣٠) .
- ❖ آخر درجة للطاعة : " أطاع حتى الموت موت الصليب " (في ٢ : ٨) .
- ❖ قتل روح العداوة : " وبصالح الإثنين في جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به " (أف ٧ : ١٦) .
- ❖ العمل للصلح حتى الدم : " عاملاً الصلح بدم صليبه " (كو ١ : ٢٠) .
- (.
- ❖ التحرر من سلطان الخطية : " إنساننا العتيق قد صُلبَ معه لئيبطل جسد الخطية كي لا نعود نُستعبد أيضاً للخطية " (رو ٦ : ٦) .
- ❖ شركة موت وحياة مع المسيح : " مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ " (غلا ٢ : ٢٠) .
- ❖ افتخار : " حاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح " (غلا ٦ : ١٤) .

طوبى للأقدام التى احتملت الآم المسامير ، مفضلة إياها عن السير فى دروب الشر والخطية

١٧ - الكنيسة المتألّمة

طبيبة صينية فى (بكين) تدعى (إستر) اجتازت سنوات كثيرة من المعاناة . فقد استدعاها رئيسها فى العمل ذات يوم . وكانت مسئولة عن ثمانية عنابر كبيرة للأطفال فى المستشفى ، وحذرها رئيسها لكى تنكر إيمانها بالمسيح وتنضم للحزب الشيوعى . وإلا واجهت عواقب وخيمة ، فرفضت .

وبعد بضعة أيام ، أيقظنها أربع ممرضات بطريقة وقحة ، بأن جرننها من سريرها بعنف وسرن بها فى اتجاه المستشفى ، وفى الطريق توقفن عند دكان حلاق ، وحلقوا نصف شعر رأسها . ثم طلبوا منها أمام باقى العاملين بالمستشفى أن تنكر إيمانها بالمسيح

فقالتهن لهم : [لا أستطيع أن أنكر يسوع . أنا أحب يسوع] . فطرحوها أرضاً وشتموها ، ونزعوا من رقبتهن السماعة التى تكشف بها على المرضى .. (٤١)
وأنزلوها من عملها كطبيبة إلى عاملة فى تنظيف أرضيات ومراحيض عنابر المستشفى التى كانت ترأسها من قبل .
وتم تخفيض راتبها الشهري الضئيل من خمسين يوان إلى خمسة عشر يوان ، بل تعين عليها أيضاً شراء مواد التنظيف منه ، أما باقى الراتب فكانت تأكل به .

وعاشت بعد ذلك لمدة إحدى عشر سنة فى الجزء السفلى من المستشفى ، وهى تعمل بكل أمانة وخضوع لكل مهامها الجديدة .
ورغم كل ذلك مارست (إستر) حضور يسوع فى وظيفتها الجديدة ، كانت ترنم وهى تكدح ، وتقول والنور يتلألأ من عينيها :

ولما انتهت فترة الثورة الثقافية ، أعيد تنصيب (إستر) فى وظيفتها الأصلية كطبيبة ، وتم تعويضها عما فقدته من راتبها طوال تلك المدة .
ليست حياة (إستر) إلا واحدة فقط من ضمن أمثلة عديدة من الكنيسة المتألّمة التى بلّغت بهدوء الرسالة البسيطة والعميقة التى مفادها أن الله يطلب – قبل كل شئٍ آخر – أن نحبه من كل القلب .
أما كل شئٍ آخر فيجب أن يبهت وتنتلاشى أهميته مقارنة بحبنا الشديد للرب وشوقنا الحار إليه .
يقول المحرر الدكتور (دافيد بارت) : [الكنيسة العادية هى الكنيسة المتألّمة .. حيث يقع الاستشهاد تكون الكنيسة سائرة فى إثر سيدها بحق]

يحلو للمسيحيين الكوبيين ترديد ترنيمه فرحة مفضلة عندهم عنوانها : (وسط التجارب تتقدم الكنيسة للأمام) .

خادمة صينية ضعيفة الجثمان وقع عليها اضطهاد شديد ، فقالت : [لا يمكن للسفينة أن تتوقف هكذا لمجرد هبوب عاصفة ، كل ما عليها هو أن تضمن إبحارها فى المسار الصحيح] .

تشهد الكنيسة المتألّمة خلال هذه العواصف الرهيبة بأن كل ما يمكن عمله هو أن تربط نفسك بالدفة ، وتتمسك بثقتك فى أمانة الله ومحبه الأبدية .

إن شعوب الكنيسة المتألّمة – لا سيما فى أسيا ، على دراية كبيرة بأن الكنيسة تتألف من أشخاص فقط – لا من المباني التى يجتمعون فيها ، لذلك تنمو حركة الكنائس المنزلية اليوم فى فيتنام بسرعة تضارع شقيقتها فى الصين المجاورة لها .

ومن الشيق أن الكنيسة الأولى لم يكن لها أى من هذه الأشياء ، ومع ذلك فتنت المسكونة وقلبت العالم رأساً على عقب (أع ١٧ : ٦) .
لقد أثبتت الكنيسة المتألّمة بقدرتها أن يمكن بالفعل أن تخسر كل شئٍ .. تقاسى كل شئٍ .. تتحمل كل شئٍ .. ومع ذلك تحتفظ بروح فرحة وقلب عامر بالمحبة للرب .

لم يكن وعد الرب لنا أن تكون حياتنا سهلة ، بل فقط مشبعة ، ولم يكن وعده أن تكون الأوضاع عادلة ، بل أنه هو سيكون عادلاً .

يُحكى عن مسيحي سافر إلى بلد حُر بعد سنوات من الاضطهاد في بلده ، وفزع من عدم الالتزام بتعاليم الرب يسوع ، والتلوث المادي الذي سيطر على أولئك المسيحيين ، وعَبَّر عما شعر به بقوله : [من الأصعب أن تحيا الحياة المسيحية في ظل الحرية مما هو الحال تحت القمع] .

والقائد المسيحي الإيراني (لوقا ياجنازار) الذي يعيش في أمريكا يقول في هذا الصدد : (من الأصعب أن تكون مسيحياً في أمريكا عن إيران . ففي إيران إما أن تكون مسيحياً أو لا) .. وهو يقصد أن المسيحي في إيران يعيش حياة مسيحية حقيقية وهو تحت الاضطهاد عن المسيحي الذي يعيش في أمريكا في ظل الحرية والرفاهية .

محب الصلاح هو الذي يحتمل البلياء بفرح

(القديس مار اسحق السرياني)

١٨ – لم نفقد الرب

(٤٣)

في مدينة (هو تشي منه) بفييتنام اغتُفِلَ زوج السيدة (ها) في ١٠ / ١٢ / ١٩٨٣ م ، بفيادته نمت كنيسة (تران كاوو فان) نمواً منقطع النظير ، ورغم بقاء الكنيسة مغلقة ، عقد معظم المسيحيين اجتماعاتهم في البيوت .

ومع كونه في السجن ، إلا أنه يقوم بخدمة فردية تضارع ما قام به في سنى الحرية السالفة .

لدى إلقاء القبض على زوجها ، صُودرت جميع أملاكهم ، وأجبرت هي والأولاد على مغادرة بيت الراعي في الكنيسة والبحث عن مأوى لهم .

كلمات مناسبة للتعبير عن المحبة التي أظهرها الرب نحو عائلتي . ولا يسعني إلا أن أحنى ركبتي وقلبي وأقدم للرب كلمات تعبر عن عميق امتناني وتسبيحي ، ومع أننا فقدنا منزلنا وممتلكاتنا ، إلا أننا لم نفقد الرب – وهذا يكفي .

مع الرب أنا أملك كل شيء] .

يقول القس (تو) : [الاضطهاد ليس مسألة كبيرة بالنسبة لمعظم القسس الفيتناميين . إنه جزء من نطاق الخدمة .. ولا تخلو حياتنا الكنسية العادية منه] .

ويقول (ولسن تشين) الذي اعتقل (٥ سنوات) : [عند النظر للوراء أرى أنني اختبرت محبة الله أكثر وأنا في معسكر الاعتقال من أي وقت آخر في حياتي] .

إن ما شاهده أحد المرسلين فمعه حمزيرة (كوبا) يُعد من أفضل الأمثلة على الحياة المسيحية الفائقة الانتصار . فرغم الضيقات والشدائد التي تقابلها الكنيسة هناك ، ورغم سوء التغذية الشديد بين المؤمنين ، مع ذلك لم يمكنه أن ينسى منظر الشباب الجائعين وهم يرنمون بحماس من عمق قلوبهم ترنيمة مسيحية كويبية محببة لديهم مبنية على ما جاء في سفر حبقوق :

" فمع أنه لا يُزهر التين ولا يكون حملٌ في الكروم ، يكذب عمل الزيتون والحقول لا تصنع طعاماً ، ينقطع الغنم من الحظيرة ولا بقر في المذود ، فإنني أبتهج بالرب وأفرح بإله خلاصي " (حب ٣ : ١٧ ، ١٨) .
هذه هي الحياة المسيحية المنتصرة الفائقة ، فلا شيء يمكنه أن يفصلنا

إن محبة الله أقوى بكثير من أحلك

١٩ – عمق الإيمان

اغتم أحد المسيحيين الكنديين العاملين في المعونة من الاحتياج الهائل بين المسيحيين بجنوب السودان . وهو يذكر بعض الصبية في قرية ما لا تكسوا أجسادهم العارية سوى صلبان من العظام المصنوعة باليد على هيئة قلائد حول أعناقهم . فأشار إلى الصليب الملتف حول عنق إحدى البنات الهزيلات واستفسر منها عنه بإشارات يدوية . فما كان منها إلا أن ابتسمت ابتسامة عريضة وخلعت القلادة وسلمتها له .

وكان تحليله المدقق للأمر على هذا النحو :
[هذا العمل الصغير إنما يرمز إلى حالة الكنيسة المتألّمة في السودان . فمع انعدام كل الممتلكات المادية ، لا يزالون محافظين على صليب يسوع المسيح ، وهم مستعدون أن يشاركوا الآخرين برجائه – حتى وإن كان معناه الموت] .
قال أحد المرسلين : [إن كان المسيح لا يستحق الموت لأجله ، فهو لا يستحق الحياة لأجله] .
علينا أن نتحمل الألم متى تعرضنا له لأنه دائماً مصدر خيرات كثيرة . هذه الحياة هي مكان للتدريب على الألم .
إن الروح النقية القديسة كروج أيوب الصديق ، لا تنزعزع تحت هجمات الألم ، بل يقوى صبرها (٤)
لا تشته أيها الحبيب – حياة خالية من كل ضيقة فإن هذا ليس فيه خيرك .

إن نفوسنا ثمينة جداً وفي حاجة شديدة إلى ما يقويها وينمي فيها الفضائل الروحية ويصقلها ويجملها ، ولا يمكن أن نصل إلى هذه الحالة إلا عن طريق الآلام والتجارب ، فالتجارب المحرقة والدموع السخينة والضيقات الخائقة ، كلها لازمة لتربية النفس وتدريبها في حياة الصبر ، فالصبر لؤلؤة لا توجد إلا في بحار الآلام العميقة ، والنعمة وحدها تجدها وتظهرها وتزن بها عمق الإيمان .

كثير من بله من العناية الالهية ، ويقبلون أن مصائبهم أعظم من

أن تحتل ، ولو أدركوا حقيقة الأمر لعلموا أن التعاسة في قلوبهم
وليست في ظروفهم ، لأن نعمة الله في المؤمن تهبه سلاماً وهدوءاً
وطمأنينة ، وروح الله في قلب الإنسان يجعل المشقات وسيلة للصبر
وإجابة للصلاة

أنت لا ترى من
أحداث الحياة إلا
غيومها ،
أما الإيمان فيرى

(٤٦)

٢٠ - أزمنة الضيق

أسرتان مسيحيان كانتا تسكنان في مبنى مار ميئا تحت شقة أحد
الآباء الكهنة بحي شبرا بالقاهرة ، وكل أسرة من الأسرتين كانت لها ابناً
في ميدان القتال في حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ م .
هذان الشبان أحدهما استشهد في الحرب ، والآخر عاد سالماً إلى

أسرته

الجهال فى بيت الفرح " (جا ٧ : ٢ ، ٤) .

حقا .. إنه بعد تجرع كأس الألم تأتي كأس البركة .
الألم دواء نافع وعلاج ناجح لنفوسنا وأرواحنا ..
الألم معلم حاذق ، يعلمنا التواضع والانسحاق ، ويصوننا من العجب
والزهو .
والتجارب تجعلنا أكثر انفصالاً عن الأرض ، وأكثر اتصالاً بالسماء

المتفائل ينظر إلى
الوردة ولا يرى
أشواكها ،

٢١ - دار سلام

لم تكن قد تجاوزت السيدة (تشرين) الصينية العشرين من عمرها ، حينما قُذِفَ بجسدها المنهار بخشونة في زنزانة السجن . لم يكن هناك نور .

كل ما كانت تعلمه هو أنها في مكان ما تحت الأرض . فإن الأرض كانت مبتلة تماماً ، والمكان كله كانت تفوح منه رائحة براز آدمى عفنة ، وكانت الجرذان والقوارض المؤذية ترتع في المكان كله . لم يكن هناك فراش ، لذا فإذا أردت أن تنام فليس أمامها إلا النوم في برازها وبراز كل الذين سبقوها .

وبينما هي جالسة على الأرض أحست بشئٍ دافئ يسيل على ذراعها ، فأمسكت بذراعها وأدركت للمرة الأولى أنها لم تنزل تنزف من الضرب .

بدأ جسمها يتورم من الضرب . ولكنها جلست القرفصاء بهدوء ، لكي يمس الأرض أقل قدر من جسدها ، وبدأت تشكر الرب على استحقاتها أن تتألم من أجله . (٤٨)

لقد فضلت الألم والعذاب عن التكرار لمخلصها ، فرفضت إنكار مسيحها . وها هي الآن : وحيدة ، مضروبة ، تذرف دموع الفرحة ، في حين تحولت زنزانتها إلى دار سلام لها .

ثم طلبت من الله الحكمة والقوة ، لا لكي تخرج من هذا المكان الشنيع ، بل لكي تقدر أن تواصل الكرازة بإنجيل سيدها في كل مكان يضعها فيه .

وقد شهدت (تشرين) قائلة : [وصلت في السجن إلى مرحلة قلت عندها ليسوع : إنني أحبه لذاته فقط ، وليس لما يمكنه أن يصنع لأجلي أو

ويقول القس (ديباج) لَمَن يضطهده : [نحن المسيحيين مثل الأزهار ، كلما سحقتنا ، اشدت شذانا] .
ويقول أيضاً : [نحن المسيحيون مثل كرات المطاط ، كلما قسوت فى قذفنا إلى أسفل ، كان ارتدادنا إلى أعلى أكثر علواً] .

حقاً ..
إن الأمواج العاتية التي ترهب السباح العادى تسبب إثارة هائلة عند راكب الأمواج الذى ركبها .. الأشياء التي نحاول تجنبها ومكافحتها – الضيق والضغط والقلق والاضطراب والتهتك والتمرد والتمرد والتمرد فىنا

من غير الممكن أن
يتغلب الإنسان على
الآلام ، دون أن
يتدرب أولاً على
الفضائل

(القديس مار افرام السريانى)

٢٢ - وحده معي

نام رجل وهو حزين جداً ، ويحيط به اليأس ، حتى أنه فكر جدياً في الانتحار والتخلص من حياته .
وفي أثناء نومه حلم حلماً أنه يجرى نحو قمة جبل مصمماً أن يلقي بنفسه من فوق القمة . فقابله أصدقاؤه الواحد وراء الآخر ، كل منهم يقدم له كلمة تعزية . لكنه شعر مع محبتهم أنهم لا يستطيعون مشاركته آلامه ، فتركهم متجهاً نحو القمة .
فقابله كاهن ، وأخذ يتحدث معه بكلمات عذبة ، ولكنه كان محصوراً في آلامه ، ولم يستجب لنداء الكاهن ، بالرجوع عن طريق الانتحار ، وأكمل طريقه نحو القمة . ثم قابله ملاك وأخذ يتحدث معه عن الحياة السماوية ، وأن آلام هذا الزمان الحاضر آلام وقتية عابرة .
ولكنه لم يستجب لكلامه ، ومضى في طريقه مصمماً على الانتحار .. سار حتى بلغ قمة الجبل ، وكان الكل يصرخ .. أصدقاؤه ، والكاهن ، والملاك ، وهو لا يبالي . أدرك أنهم جميعاً يحبونه ، ولكنهم عاجزون عن حل مشاكله .
أخيراً .. ألقى بنفسه من فوق القمة وارتطم جسده بصخرة أسفل الجبل ، واندفعت الدماء من جراحاته .
وفي تلك اللحظة سمع صوت ارتطام شديد ، فنظر بجانبه فرأى مسيحه قد ألقى بنفسه ورائه ليخلصه من الموت المحقق .

١٦ إن سرت في وادي أصبیره ينبوع
١٧ البكاء ويمسح الدموع

وادي الدموع ، وأن مسيحه يرافقه في جميع مشاكله ، ملاً السلام قلبه .

٢٣ - إن لنا إلهاً

زوجة شابة بالقاهرة تدعى (إيفًا بقطر حنا) مات زوجها وهو في الثلاثين من عمره في حادث ، ولها بنتان ، ثم ولدت ابنها في اليوم العاشر من الجنازة .
وبعد سنة مات طفلها ، فلم ترد أن تتعزى ، وفقدت الذاكرة تماماً لمدة (١٥ يوماً) ، وظهر لها الرب وشفاها ، ووعدها بأنه سيعينها في تجاربها .
وبعد سنة توفى والدها الذي كان يرعاها في حادث ، وبعدها أجرت (٩ عمليات) جراحة لاستئصال أورام خلال (٤ سنوات) ، ثم ماتت بنتها الكبرى (هناء) - بعد أن بقيت في آلام شديدة في المستشفى لمدة

فَاتت وَأنا كلى أنين
قال لى تعالَ هتروح لمين!؟

أدى سنة من السنين
والرب جالى ومدَّ إيده

لقد اعتبر القديسون أن الآلام هي مصدر فرحهم وسرورهم ، فقبل
عن التلاميذ أنهم " ذهبوا فرحين .. لأنهم حُسيبوا مستأهلين أن يهانوا من
أجل اسمه " (أع ٥ : ٤١) .
ويقول القديس بولس الرسول : " أسر بالضعفات والشتائم
والضرورات والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح " (٢ كو ١٢ :
١٠) .

وقيل عن الآب أنه سُرَّ بأن يسحق الابن بالحزن " سُرَّ بأن يسحقه
بالحزن " (إش ٥٣ : ١٠) ، والابن قبل هذه الآلام بسرور : " من أجل
السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهيناً بالخزي " (عب ١٢ :
٢) .

عزيزى

إذا تبعت يسوع فاستعد لأن (٥١)

❖ تتألم دون أن تتذمر .
❖ تحتمل ولا تعبس .
❖ يُساء الظن فيك فلا تسأل عن السبب .

قال شيخ :

إن رُفِعَت التجارب لا تجد

قديراً

٢٤ - جروح المحب

منذ عدة أعوام وفي يوم حار بإحدى قرى الصعيد ، نزل طفل ليسبح في نهر النيل ، وكانت أمه تراقبه من بعيد .

فشاهدت أمه من بعيد تمساحاً يقترب شيئاً فشيئاً من ابنها ، فهزولت تجاه النهر وأخذت تصرخ في ابنها بأعلى صوتها ، وإذ سمع الطفل صوتها انتبه إلى الخطر الداهم ، فأخذ يسبح بسرعة متجهاً ناحية أمه إلى الشاطئ ، وحالما وصل إليها كان التمساح قد لحقه .

ومن أعلى معدية خشبية على شاطئ النهر ، مدت الأم ذراعيها وأمسكت بيدي ابنها ، لكن التمساح كان قد أطبق على قدميه .

وهنا .. قامت معركة طاحنة بين الاثنين ، التمساح وهو الأقوى من الأم ، والأم التي تغلب الحب في قلبها على خطر الموقف وضعف الجسد ورقة الساعدين ، وصارت الأم تشد ابنها بيديها من فم التمساح ، بكل ما تملك من قوة حتى انغرست أظافرها في ذراعي ابنها . وتصادف مرور فلاح يحمل سلاحه ، فسمع أصوات الصراخ الصاعد من أعماق الأم الملهوفة على ابنها ، فأطلق أعيرته النارية ، وقضى على التمساح .

وبعد عدة أسابيع استرد الطفل صحته .. كانت قدماه ملأى بالجروح الغائرة من أنياب التمساح المفترس ، بينما ذراعه كانت ملأى بالجروح الغائرة حيث انغرست أظافر أمه فيها لتنتهذه من فك التمساح .

والتف أطفال ورجال القرية حول الطفل ، ليريهم الجروح الغائرة في جسمه ، فرفع الطفل جلبابه وأراههم أثار فك التمساح على قدميه ، ثم بحركة يشوبها الفخر والإعزاز ، أظهر لهم جروح ذراعيه وقال لهم: [انظروا ذراعى .. هذه الجروح هي جروح يدي أمى التي نقلتني من الموت إلى الحياة] .

يا للجروح المحيية .. جروح الرب يسوع فهي التي أحيتنا من الموت وأعطتنا الحياة ، ودفعت الحكيم قديماً ليقول : " أمينة هي جروح المحب " (أم ٢٧ : ٦) .

وصارت آلامنا وجروحنا اليوم هي باختصار سمات - أي علامات جروح الرب يسوع فينا ومحبه لنا ، إذا اعتبرناها شركة في جروح المسيح كما قال القديس بولس الرسول : " لأني حامل في جسد سمات الرب يسوع " (غل : ٦ : ١٧) .

عزيزى

هل تشعر في آلامك أنك تشارك في جروح المصلوب عنك ؟
هل تفرح لأنك بجروحك هذه تحمل في جسدك سمات الرب يسوع ؟
لم يشهد إنزال جسد يسوع من فوق الصليب ، ووضع في القبر سوى عدد قليل جداً من المؤمنين به .

لم يوجد من يعتنى به من تلاميذه سوى يوحنا الحبيب . لم يكن من بينهم توما الذى قال : " لنذهب نحن أيضاً لكي نموت معه " (يو ١١ : ١٦)
(ولا بطرس الذى قال له : " لو اضطررت أن أموت معك لأنكرتك ")
مت ٢٦ : ٣٥) .. ولا ذاك الذى قال له : " يا معلم أتبعك أينما تمضى " (مت ١٩ : ٨) .

كم من ألوف أحسن إليهم وأمدهم بالخير لم يحضر أحد منهم .

ما أسرع أن يمد الإنسان يده لينال الخير من الله ، وما أسرع أن يقبضها حينما يُطلب منه الخير .

لم يكن عند صليب الرب واحد من المرضى الذين شفاهم . إن الذين يشعرون بفضل الرب هم الذين لهم شعور حى بخيره .

لقد شفى كثيرين فأين هم ؟ لقد أشبع ألوفاً فلماذا غابوا ؟
لقد أفرج عن المتضايقين فلماذا تأخروا ؟

ما أكثر .. تابعى يسوع طمعاً فى خيراته .
وما أقل .. الراغبين فى تحمل الآلام وحمل الصليب .

ما أكثر .. محبى التعزية .

وما أقل .. الصابرين على الضيق .

ما أكثر .. الذين يتبعون المسيح فى وقت السلام .

وما أقل .. الذين يتبعونه فى وقت الشدة إلى الجلجثة .
(متى ٢٤ : ١٢)

أضرم فى قلوبنا

٢٥ - قدرتنا على التألم

❖ الشاعر المسيحي المتدين (ريتشبولد روتليدج) شاهد أخاه الأكبر وهو يمر عليه قطار شحن ضخم ويمزقه . وبعد زواجه بفترة قصيرة توفت زوجته الشابة المحبوبة فجأة ، ثم توفى ابنه الطبيب في حادث تصادم . وبعد ذلك ألف كتابه (سلام في القلب) ، وهذا الكتاب أعان كثيرين في تجاربهم المرة ، وكان مصدر إلهام وعزاء للمتألمين .

❖ والترنيمة المشهورة في الانجليزية : (يا يسوع كما تريد) ، كتبها قسيس عندما كان في ألم شديد ، فقد ماتت زوجته ، واحترقت كنيسته ، ومات أولاده ، وفقد بصره . وقال بعد أن وضع الترنيمة : [ليأت ما يأتى ، فسأظل أرنم بمحبة الله] .

❖ الدكتور (فيليب اتمان) مؤلف كتاب (فى متحف القلوب الكسيرة) ، كان قد فقد إيمانه بوجود الله ، لكثرة ما كان يرى من الآم

كما أنا وليس لى عذر لديك إلا الدم المسفوك عنى من يديك
وأمرك الفائت أن آتبي إليك أتى أنا يا حمل الله الوديع
وبعد موتها وجدوا أكثر من ألف رسالة تعبر عما ناله أصحابها من
الخير والبركة بسبب ترنيماتها هذه .

❖ أصيب خادم الرب الناجح (نايلور) بمرض فى السلسلة الفقرية
أعجزه عن الوقوف وعن الجلوس ، وكان يسبب له آلاماً ،

فصار حبيب الفراش ، فشرع يكتب وكان كتابه الأول (سر القلب
المغنى) ، وكتابه الثانى (سر القوة فى الحياة المسيحية) .
يقول شارح الكتاب المقدس الذائع الصيت (كيث برايس) : [إن
قدرتنا على التألم .. هى المقياس الأدق لقربنا من الرب يسوع] .

علقت سيدة مسيحية تدعى (ويرسلى) على حائط حجرتها فى
(لندن) نحاسة كتب عليها عبارة عن التجربة التى قد تقابل أحد أولاد
الله ، تقول : [أحياناً يهدئ الله العاصفة . وأحياناً يدعها تثور .. ويهدئ
ابنه] .

حقاً .. إن الله قد يمنع التجربة عن أحد أولاده وقد يجعله يجوز
التجربة ويعطيه هدوء القلب والسلام الداخلى .

إن السلام الذى يمنحه الله لنا هو سلام روحى يعمل أثناء العواصف
وليس فى غيابها .

يجب أن نحتمل الألم
بشجاعة لأنه دائماً مصدر
خيرات .

(القديس يوحنا ذهبي الفم)

٢٦ - الله معنا

شاب (غير مسيحي) آمن بالسيد المسيح وصار مسيحياً ، فكانوا يستدعونه في كل شهر ويقومون بتعذيبه لكي يترك المسيح ويعود إلى ديانته ، وكانت العذابات شديدة جداً .

وذات مرة قال للكاهن أب اعترافه : [ليس عندك فكرة يا أبانا ، إنهم إذا لم يرسلوا لي في أحد الشهور ويعذبوني ، أحس أنني تعبان ومتضايق ، لأنني في كل عذاب أرى الرب يسوع يحوطني ويحتضني] .

لقد شارك الرب في الآلام البشرية ..

فقد شارك الفقراء حينما ولد في مزود بقر .. واشترك في آلام الكادحين حينما عاش في بيت نجار فقير مع أم فقيرة .. واشترك في آلام اللاجئين ، حينما هرب إلى مصر من سيف هيرودس القاسي .. واشترك في آلام المظلومين حينما حكم عليه بشهود زور ولتفقت حوله التهم الباطلة .. شارك كل متعب ، ولم يكن له أين يسند رأسه وعاش بلا مال ، بلا مركز اجتماعي ، بلا وظيفة رسمية سواء في المحيط الديني أو المحيط العالمي . عاش بلا لقب رسمي في الوقت الذي كانت تنهوى فيه جميع الألقاب تحت قدميه .

❖ في حريق شيكاغو فقد (هيراشيو استيفانوس) كل أمواله وابنه الوحيد . [إن هاجرت على جيوش الأمام وفي بسادة عرق سفينة ، عرفت بانه اللطيف ، بينما تحلم زوجته بأعجوبة ، ثم ماتت بعد عودتها إلى ذلك حدث في شهر محرم ، لكن سلام الله ان كان أقوى من كل ما حدث ، فكان يشكر الله في هلام] ورضى ، وكتب الترنيمة المعزية التي تقول :

إن الشهداء والقديسين كانوا يقابلون الألام بفرح ويخوضون العذابات بالتسييح ويستقبلون الموت بصدر رحب . فنجد الثلاثة فتية القديسين يسبحون في وسط أتون النار ..

وسر شعورهم بالسلام والطمأنينة في وسط التجارب هو شعورهم بأن الله معهم .

إن قائد جيشنا اسمه (عمانوئيل) أى (الله معنا) (مت ١ : ٢٣) فلنشدد ذلك النشيد البديع : " رب الجنود معنا . ملجأنا إله يعقوب " (مز ٤٦ : ١١) .

إن راية خلاصنا مكتوباً عليها شعارنا (الله معنا) ، وهذا الشعار يلقي الرعب في قلوب الأعداء .

فلتهيج وتشدت تجارب الحياة ، وليتأهب جيش الشر ، وليظهر العالم بكل أحزانه ، فإنها كلها لا تزعجنا لأن (الله معنا) .

فليلبس الحزن شعاره الأسود ، وليرفع المرض سيف غضبه ، وليشهر الكرب سلاح رهبته ، وليعمل الخوف ما في مقدرته ، فإننا نقف مطمئنين لأن (الله معنا) .

ليهبج الشيطان علينا بكل قواته الشريرة . وليقف الموت مهدداً إيانا ، فإننا لا نرهب ولا نجزع لأن (الله معنا) . ارتفعى يا أمواج المحن ، واعصفى يا رياح التجارب والطمى سفينة حياتنا ، فإن الخوف لا يدنو منا لأن (الله معنا) ، ولأن يسوع يمسك الدفة .

إن الله معنا فعلاً خلال الأمانا ، وهو ينتظرنا لدى خروجنا من نهاية نفق المحنة الطويلة .

لاحظ أن الله لم يحفظ الفتية الثلاثة من أن يلقوا في النار ، ولكنه كان معهم وأنقذهم من النار . كثيراً ما نصلى ونطلب من الله أن ينقذنا قبل أن ندخل النار ، ولكننا في الواقع لم يعدنا الله بحياة خالية من النيران ، لأنه قال : " في العالم سيكون لكم ضيق " (يو ١٦ : ٣٣) .

ولكن عندما نمشى خلال نيران الأتون الملهب ، سيكون السيد الرب هناك معنا ، يُعد لنا الخلاص ، ويجهز للقيامة .

إن وُجِدَت تجربة أو ضيقة في الحياة ، لا تتقبلها كهزيمة أو تخل من الله ، ولكن استمر بالإيمان لتستحق النصر من خلال ذاك القادر أن يجعلك أكثر من غالب .

في كافة مناحي الحياة الصعبة التى يسمح الله أن نجوزها ، علينا

أن نتأكد أن الله يريدنا أن نختبر مثل هذا الإيمان به ، حيث سيمتعا بنتائج باهرة ، ويتمجد اسمه بقوة ..

الله دائماً معنا ، خصوصاً في (ألكون) تجارب الحياة وهو يقول لك : " إذا اجتزت في المياه فأنا معك ، وفي الأنهار فلا تغمرك . إذا مشيت في النار فلا تلذع واللهيب لا يحرقك " (إش ٤٣ : ٢) .

الله معنا دائماً خصوصاً عندما نضطهد من أجل الحق .. إنه معنا وسط النيران اللاذعة ، ووسط السبيل الحارفة . لن يهملنا أو يتخلى

للى الام هنا فى غربتى
وضيقات سيمسح دمعتى

٢٧ - وادى المرارة

وصل شعب الله قديماً وهم فى البرية إلى مدينة تدعى (مارة) وكانت اسماً على مسمى . فاسمها (مارة) وهى مُرة المياه .. وما أقسى حياة السائح الغربى المتجول فى صحراء واسعة شاسعة تضربه حرارة الشمس ، وحين يبحث عن مكان للراحة أو رشفة ماء تشفى غليله وتروى عطشه فلا يجد ، وإن وجد عثر عليها مياه مُرة . هكذا رأينا هذا الشعب يُعذب فى البرية ، وحين يطلب ماء يجده مُراً

وما أشبه العالم اليوم بآبار (مارة) المُرة ..
إن عالمنا هذا هو (وادى المرارة)

صرخ الشعب لموسى ، فصرخ موسى للرب ، وكان موسى بحق موصلأ جيداً لنبض الجماهير ، فأمر الله موسى أن يطرح شجرة فى الماء المُر ، وقد فعل فوراً ، فتحولت مرارة البئر إلى عذوبة وحلاوة (خر ١٥ : ٢٢ - ٢٥) .
وما معنى هذا ؟

إن الشجرة تشير إلى الرب يسوع شجرة الحياة الذى قال عنه إرميا النبى : " ها أيام تأتى يقول الرب وأقيم داود غصن بر " (إر ٢٣ : ٥) .
ذلك سر تعزيتنا فى تجربتنا ، ومصدر رجائنا فى مرارتنا ، إن (غصن الشجرة) فى وسط آبار العالم المرة يحولها عذوبة وحلاوة .

الصديق رجل الألام : " من الوجع أناس يننون " (أى ٢٤ : ١٢) ،
وهو ما عبّر عنه القديس بولس الرسول الذى عانى الكثير من الألام ،
وأكد على تلك الحقيقة بقوله : " فإتينا نعلم أن كل الخليفة تنن وتمخض
معاً إلى الآن " (رو ٨ : ٢٢) .
وكان داود يئن كثيراً من متاعبه النفسية ويقول : " كنت أئن مع
زفير قلبى " (مز ٣٨ : ٨) .. إلى أن تحنن الله عليه وأراحه من أتعابه .
إن الله يسمع صوت أنين أولاده فوق هذا الكوكب الشقى . فلما عانى
شعب الله قديماً من متاعب الغربية فى أرض العبودية بمصر ، سمع الله
صوت أنينهم فأرسل موسى ليخلصهم من حياة العبودية والتسخير (خر
٦ : ٥ ؛ أع ٧ : ٣٤) بيد الرب المعجزية القوية .
فالجأ بأخى إلى الرب ليرفع عنك الأنين وبمتعك بالراحة والعزاء .

مرارة كأس الحياة
جعلتك تعرف
حلاوتها ، فلا تجحد

٢٨ – وسط الأهوال

يواجه المسيحيون اضطهاداً شديداً في دولة (نيبال) في شمال الهند ، حيث أصدر البرلمان قانوناً يعاقب بالسجن كل من يرتد عن الديانة الهندوسية ، ويقر بإيمانه بالرب يسوع .
وفى إحدى الاجتماعات السرية ، سأل المشرف .. كم من الحاضرين قضى وقتاً في السجن بسبب إيمانه بالمسيح ، فرغ الجميع يديهم ما عدا شخص واحد فقط ..
والغريب في الأمر أن هذا الشخص كان يشعر بالخجل أنه لم يكن كباقي المؤمنين .. فقد قال : [كنت أتمنى أن أحظى بهذا الشرف أن أسجن من أجل اسم المسيح مثل الرسل ، ولكن الله لم يسمح لى بذلك] .

أخي الحبيب

هل تواجه مضايقات في عملك ؟
هل يسخر منك زملاؤك في الدراسة ؟
هل تشعر بالرفض ممن حولك ؟
هل تشعر بضغط أن تتخلى عن إيمانك ومسيحك لتجارى أهل العالم المحيطين بك ؟

تشدد وتشجع ، فقد رفضوا المسيح نفسه من قبلك في فترة تجسده على الأرض ، وانطبق عليه قول المزمور : " رفضوني أنا الحبيب مثل ميت مردول " (مز ٣١ : ١٢) .
ولقد سبق وأخبر عن نفسه أنه " ينبغى أولاً أن يتألم كثيراً ويُرفض من هذا الجيل " (لو ١٧ : ٢٥)

إن رفضهم واضطهادهم لك ، هو رفض واضطهاد لمسيحك وليس لك وهوذا صوت الرب يقول لك : " إنهم لم يرفضوك أنت ، بل إياي رفضوا " (١ صم ٨ : ٧) .

لقد صارت المسيحية طويلاً عبر العصور والأجيال وقابلت آلام واضطهادات مروعة ، وبُنيت كنائسها تحت الأرض أحياناً ، إلا أن تعاليمها كانت مرفوعة في الأفق عالياً .
لقد كان المسيحيون لهم رجاء في الرب يسوع ، مرساة النفس

المباركة ، ثابتة وراسخة ، حتى أن عواصف غضب المضطهدين فشلت عن أن ترحزهم عن صخر الدهور ملجأهم .
لقد كان لهم الإيمان الشامخ وسط الأهوال والشدائد والضيقات .
كانت محبتهم لمسيحهم التي ملأت قلوبهم هي النور الذي يضيء الحياة ويكشف مباحج الخلود .

وفي الوقت الذي لم يجدوا فيه رحمة في قلوب اخوتهم بنى البشر الذين يضطهدونهم ، فتحت السرايب أحضانها لترريحهم .

لذلك يقول ترتليانوس لمضطهديه : [استمروا فى تعذيبنا ، اصحنونا إلى مسحوق ، فإن أعدادنا تتزايد بقدر ما تحصدونا . إن دماء المسيحيين لهى بذار محصولهم] .
ويقول القديس (يوستينوس) : [بقدر ما نَعاقب بهذه الضيقات ، بقدر ما ينضم مسيحيون أكثر إلى إيماننا وديانتنا .
إن الكرام يقطع أغصان الكرمة التى تحمل أثماراً حتى تنمو أغصان أخرى .
وهذا يصير أكثر حيوية وأكثر (أثماراً)] .

لقد صمدت المسيحية على مدى واحد وعشرين قرناً من الزمان تحت أقصى الظروف وأبشع الاضطهادات ضد الإيمان المسيحى ، بطريقة عجز المؤرخون الحديثون عن تفسير سببها ، والكشف عن هذه الظاهرة التاريخية الفريدة .

لقد ظل الإيمان المسيحى صخرة راسخة ، والمسيحيون مرفوعو الرؤوس شامخو النفوس ، يبتسمون فى وجه كل هذا كأن كل هذا هو سر ازدياد تمسكهم بإيمانهم الحى بشخص المسيح الحى راعيهم الصالح ورأس كنيستهم الذى يسكن السماء .
إن الاضطهادات التى نقابلها فى حياتنا ، قد تدفعنا إلى تمسكنا

وتعطى الكنيسة قوة ووحدة ، وتلم شملها وترفع قلوب أبنائها إلى الله

وربما ضيقة شديدة تقود الإنسان إلى حياة التوبة ، أكثر من مائة عظة ، وأكثر من قراءة كتب روحية عديدة .
والضيقات ترينا الله ، وعمله وتدخله فى حياتنا ، وحمايته لنا وقوته وحلوله العجيب .

وتعطينا خبرات روحية ما كنا نصل إليها بدون الضيقة . كما أنها تغربل الكنيسة وتفصل الزوان عن الحنطة .

لقد تحمل الرب يسوع الآلام وسط كل علامات البغضة العنيفة ، وانتزعت حياته من العالم بسرعة ، كما حل نفس المصير بالملايين من أتباعه منذ ذلك الوقت إلى الآن .

لقد كان الطريق مسرعاً من بيت لحم إلى رابية الجلجثة . من مكان ميلاده إلى حيث صُلِبَ فى عنقوان شبابه .
وإن ما حدث لابن الله أيام تجسده ، يحدث لكل من يتجسد فى قلوبهم وحياتهم .

فإنه عندما يدخل بروح الله فى طبيعة أولئك الذين كرسوا حياتهم له تكريساً كلياً . يبدأ العمل فيهم بقوله .
فإنه لا يُظهر فقط الكثير من نعمته وقوته ، لكنه أيضاً يصطدم بأحقاد الناس الأشرار وبغضتهم الشنيعة وبمقاومتهم العنيفة .

من أسباب البغضة التى يحس بها العالم نحو المسيحيين ، هو أن الأشرار ينغمسون فى المسرات ، ويتجنبون كل ما يتصل بالله ومطالبه ، لكنهم إذا ما التقوا بإنسان فاضل ، فإنهم يجدون فيه اعترافاً وتمسكاً بهذه المطالب ، مع السعى لإتمامها بأمانة .

وهنا يجدون البر مجسماً ، ويرون أنهم محرومون منه ، الأمر الذى يذكرهم بواجباتهم التى هربوا منها ، وبسبب كبرياء قلبهم لا يحتملون

" لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته " (يو ١٥ : ١٩) .
إن عدم بغضة العالم لنا يبرهن على أننا لا نشهد بأن أعماله شريرة ،
وشدة محبة العالم لنا تبرهن على أننا أصبحنا من العالم .
إنه إن كنا نتمسك بحياتنا الروحية وإن كنا نعيش كما ينبغي ،
مخلصين للرب ، فإننا ندين العالم المحيط بنا ، لأنه في حياة المؤمن نور
كشاف يبين عيوب أعمال الظلمة في أهل العالم . كما توجد حرارة
شديدة تحرق الأشرار ، وتتعب ضمائرهم ، حتى لا يحتملونها .
وعندئذ تنشأ في داخلهم نار من البغضة الشريرة ، ومن هذه ينشأ
الاضطهاد الذى يوجهونه للأتقياء .
إن كل صاحب دعوة فى العالم يمنى أتباعه بأمال ومواعيد تتفق مع
مبولهم ورغباتهم وأمانيتهم ، ليستهو بهم حتى يسيروا وراءه ويؤيدوه فى
دعوته .

أما الرب يسوع فكان على النقيض من ذلك ، فإنه لما دعا أتباعه
ليكونوا شهوده ورسله إلى العالم ، صارحهم بالمصير الذى يصيرون
إليه فى هذا العالم ، ووضع أمام عيونهم تلك الحقيقة المرة التى تنفر منها
طبيعتهم إذ قال لهم : " فى العالم سيكون لكم ضيق " (يو ١٦ :
٣٣) .. " إنكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح " (يو ١٦ : ٢٠) ..
" يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله " (يو ١٦ : ٢) .. " سيسلمونكم
إلى مجالس وفى مجامعهم يجلدونكم . وتساقون أمام ولاية وملوك من
أجلى " (مت ١٠ : ١٧ - ١٨) .. " وتكونون مبغضين من الجميع من
أجل اسمي " (مت ١٠ : ٢٢) ، وهنا مثار العجب وموضوع دهشة العالم
، أنهم أقبلوا على دينه فاعتنقوه ، وعاهدوه على أن يتعلموا له رغم هذا
المصير الذى كشفه لهم وهذه الانتظارات المريرة ، وقالوا له بلسان
الرسول بطرس رفيقهم : " إلى من نذهب . كلام الحياة الأبدية عندك ")
يو ٦ : ٦٨) .

إن كان قالها كلمة صريحة ، ألقمهم يعيشون فى الضيق ويموتون
بالصلب ويقطع رقابهم ، وبحرق أجسادهم بالنار ، ومع ذلك أقبلوا على
ديانته وتعلموا له وهم راضون بهذا المصير ، فهذا سر لا تدركه العقول
البشرية .

وكما أنه " عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد " (١ تى ٣ :

هكذا (عظيم هو سر الدعوة وقبول الناس لها) .

ولم الدهشة والعجب .. إذا كانت الدعوة والانتشار لهذه الديانة ، لم تكن بوسائط بشرية ، ولا بتأثيرات عالمية ، بل الفاعل في الكرازة والجانب للملايين هو روح الله ، الذي تكلم على أفواه الكارزين ، وأعد قلوب السامعين لهذه الدعوة التي انتشرت ولا تزال تنتشر في كل العالم ، حتى يأتي

إذا قذفك الزمن
بثمرة حامضة
فاجعل منها
شرباً حلواً

٢٩ - وادي الدموع

(٦٤)

في وادي الدموع وطريق الحياة المرصوف بالألم ، سارت في ظلام الليل وحيدة بلا رفيق سوى شبح الموت الذي يلتهم جسدها ويشرب دماءها ويستنزف دموعها .

وقفت تصرخ والحزن يخيم عليها بأجنحته السوداء ، ويده تجرف روحها إلى الهاوية .

عاشت في يأس وذلل . لم تكن حياتها سوى آلاماً خرساء تقطن في قلبها ، وتثور كالعاصفة الهوجاء في جوانبها .

وأصبحت الحياة في نظرها انتظار الموت ، ولم تر الكون سوى

وفى لحظة لم تتكرر فى حياتها علمت بذهاب الرب يسوع لشفاء ابنة يائرس (مر ٥ : ٢٢ - ٣٤) . فسارت مسرعة فوق الجبال والأودية متخطية التلال والسهول حتى وصلت إليه ، ثم جاءت من خلفه ولمست هُذب ثوبه .

لقد اقتحمت بسفينة إيمانها ، أمواج البحر التى أحاطت بيسوع قبطان حياتنا ، فنالت الشفاء من الداء ، وتوقف سيل مرارتها .

لقد تطهرت الشجرة الفاسدة وأثمرت ، والببلبيل المسجون نهض ليحرك عشاً من ريش جناحيه لفراخه ، والقيثارة التى طُرحت تحت الأقدام ، وُضعت فى مَهَب النسيم ليحرك ما بقى من أوتارها .

وهكذا تحولت النكبة الخرساء إلى رواية أبدية ، والمرأة التى اغتسلت بالدماء والدموع ، ها هلى (لأن) تتعطر بالمر واللبن أما الدماء التى نزلتها فقد جرت ماء عذب فى أنهار الحياة ، ودموعها التى نثرتها أنبتت على الأرض أزهاراً وأشجاراً وقد كانت أثمارها حلوة كالشهد ، عطرة كأنفاس الياسمين .

لقد عادت الحياة إلى تمثال اليوس ، فرجعت المرأة إلى كهفها المظلم لتحوّله إلى قصر بديع فيه تنشد العصفير أنشودة شفاءها والبلابل ترنيمة خلاصها .

عزيزى

إننا فى مسيرة حياتنا نجتاز الكثير من الآلام والضيقات ،

ولماذا التعجب!؟

فنحن الآن فوق هذه اليابسة : (عابرين وادى الدموع) ومتجهين نحو الأبدية السعيدة .

كل إنسان لابد أن يجد أمامه فى مسيرة حياته صراعاً عنيفاً ضد الألم الذى ينشأ أظفاره فى قلوب الجميع .

استمع إلى ما قاله أيوب الصديق حكيم الشرق : " الإنسان مولود للمشقة " (أى ٥ : ٧) .

من يتأمل هذه الحياة جيداً يجدها وادى دموع وأنات وزفرات .. ومزيج من أوجاع وآلام وعذاب . من أمراض مرعبة وأوبئة مخيفة وأهوال مرهبة تفرز القلوب . من زلازل وعواصف وبراكين ، وحروب تنفى ممالك برمتها . أثقال كثيرة أحنت هامات الأقوياء الأشداء . بلاء فى البحر ، وشقاء فى البر . أرض تنبت شوكاً وحسكاً .

كم من أناس لو فتحت قلوبهم ، وعلمت ما بداخلها من هموم وحسرات وآلام ، لتأكدت تماماً أنه لا سعادة فوق هذا الكوكب الصاخب .

أى مكان تطؤه قدمك ولا تدوس فيه أشواكاً غرسها العالم لأذية الناس .

يقول الحكيم سليمان : " لأنه ماذا للإنسان من كل تعبته ومن اجتهاد قلبه الذى تعب فيه تحت الشمس . لأن كل أيامه حزن وعمله غم . أيضاً بالليل لا يستريح قلبه " (جا ٢ : ٢٢ - ٢٣) .

فى وادى الدموع تجد أوبئة ومجاعات وأمراض ، فكلما اكتشف العلماء دواءً جديداً لعلاج أى داء ، كلما اكتشفنا داءً آخر ، وهكذا يفوق دائماً الداء على الدواء .

لقد ألقب العالم كله بوادى الدموع .

فالألم هو اللغة المشتركة بين جميع الناس والسلك الذى تنتظم فيه خرزات العقد .

لقد تأصلت جذور الألم فى كيان الإنسان ، وأصبحت من المستحيل أن تنزع منه ، وإن كان لكل إنسان ميزات تميزه عن الآخر ، إلا أن الجميع عند الدموع يلتقون وفى البكاء من الألم يتساوون .

قد لا تجد فى العالم مشكلة أعقد من مشكلة الألم ، فأول مرحلة فى الحياة - مرحلة الميلاد - محفوفة بالألم ، وآخر حادث فى الحياة -

وبين هاتين المرحلتين نجد الآلام منبته في أرض خصبة غنية بالشوك والحسك ، ضنينة بالورود والأزهار .

فهي مشكلة تملأ القلوب أسى ، والعقول حيرة .

فالمفكر المتأمل في آلام الناس ومتاعبهم يقف ويرفع أنظاره إلى السماء قائلاً : لماذا الألم يارب ؟

حيث يكون الألم فهناك الصقل ومصارعة الظروف وغلبة الصعاب ، فالإتضاع والطهارة وهنا النجاح .. وأى نجاح .

فأهلاً بالألم صديق البشر العظيم .

إن ألم اليوم قد يصبح ثروة باطنة تدخرها الذات للمستقبل كأحد أسس خصب حياتنا النفسية ، وتعمل على صقل شخصيتنا ، إذ يكفل الألم لنفوسنا ما هي في حاجة إليه من تربية أخلاقية .

لقد غرس الرب بذور الدموع في الأرض ليخصب بها مادة حياتنا .

يقول (أ . ب . سمبسون) : [من ضغطة الألم يأتي خمر النفس الجيدة فالعيون التي لم تذرف دموعاً ، لا تتألق ولا تلمع سوى قليلاً] .

التقدم الروحي لا يتم إلا عبر وادى الدموع وطريق الآلام

(٦٧)

الفهرس

رقم الصفحة	الموضوع	م	رقم الصفحة	الموضوع	م
٤٣	حمل الصليب	١٦	٥	دموع وعتاب	١

بنعمة ومعونة الرب
صدر عن هذه السلسلة

- | | |
|----------------------|------------------------------|
| ٢٨ - وأنا أريحك . | ١ - صرخة خادم |
| ٢٩ - لمن أنت ؟ | ٢ - دموع الحب |
| ٣٠ - كيف أدعوك ؟ | ٣ - صياد الناس |
| ٣١ - تليفون السماء . | ٤ - أين الحب ؟ |
| ٣٢ - أنشودة الحياة . | ٥ - عش الحب . |
| ٣٣ - ماذا زرعت ؟ | ٦ - رحلة التحدي . |
| ٣٤ - ما هي رسالتك ؟ | ٧ - صناع الحياة . |
| ٣٥ - اتبعني أنت . | ٨ - إليك أنت (الجزء الأول) |
| ٣٦ - صوت صارخ . | ٩ - إليك أنت (الجزء الثاني) |
| ٣٧ - ذئاب وحملان | ١٠ - إليك أنت (الجزء الثالث) |
| ٣٨ - التقت إليّ . | ١١ - أشواك السورد . |
| ٣٩ - من أحبك . | ١٢ - آلام الزمان . |
| ٤٠ - لسان وأذان . | ١٣ - طريق الأرض . |
| ٤١ - فن الصمت | |

